

مقامات الأسوة الحسنة

إضاءات على السيرة العلمية
للإمام الخميني(قدس سره) والإمام الخامنئي(دام ظله)

السيد محمد حسين رئيس زاده

دار الولاء
بيروت - لبنان


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

مقامات
الأسوة الحسنة



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب: 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com - daralwalaa@yahoo.com

ISBN 978-614-420-091-9

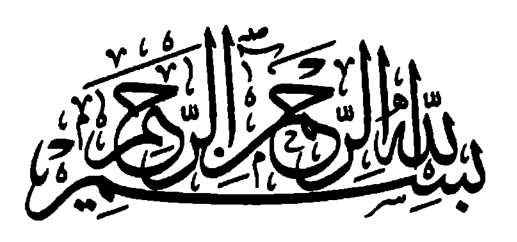
اسم الكتاب: مقامات الأسوة الحسنة
المؤلـــف: السيد محمد حسين رئيس زاده
الناشــــر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعـــة: الأولى - بيروت ٢٠١٢م - ١٤٣٤هـ

مقامات الأسوة الحسنة

إضاءات على السيرة العملية للإمام روح الله الخميني رحمه الله والإمام عليّ الخامنئي

السيد محمد حسين رئيس زاده

دار الولاء
بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة المؤلف

باسمه تعالى

تشكل «الحياة الدنيوية» فسحة ومنحة من الله تبارك وتعالى إلى الإنسان. وهي فرصةٌ كرَّمه بها الخالق ليبلغ الكمال من خلالها ويظهر استعداداته وقابلياته. وكل شخص في هذه الحياة يمكنه أن يصنع ما يريد بقدر ما يستطيع. فالدنيا أشبه بحقل فسيح يصنع فيها الإنسان هويته وحضوره في العالم. ويمكن أن يقال إن الدنيا هي دار تربية البشر؛ والتربية بحاجة إلى مراحل وأحقاب وتدرُّج وأساليب. على مدى التاريخ قد نجد أشخاصاً وصلوا إلى ذروة التقدم والتطور في الساحة السياسية أو الاقتصادية أو غير ذلك، لكن من هؤلاء من سقط في منتصف الطريق، أو أنه ضلَّ سواء السبيل بسبب فقدانه من يأخذ بيده إلى صراط الهداية. من هنا يُطرح في باب التربية موضوع الأسوة والقدوة كما هو الحال في علم النفس والاجتماع والأخلاق حيث تعتبر الأسوة الحسنة ضرورة لتقدُّم الأمم ورقيِّها...



إن من أهم العوامل التربوية في مجال الأسوة والقدوة هو عامل الحرية؛ ذلك أن تبعية الفرد إنما تكون بإرادة وباختيار الشخص نفسه، فلا إكراه ولا جبر في اختيار القدوة. ومن جهة

أخرى ينظر المتربِّي إلى الأسوة والقدوة من منظار أنه شخص ناجح في حياته وينبغي للآخر أن يتبعه ويقلِّدَه.

ولكن الأمر الأساسي في تأثير الأسوة والقدوة على المتَّبع إنما يكمن في الإعراض عن تبعية العمى والسير وراء القدوة من غير علم ولا تبصُّر. المهم في التربية المتبصّرة، أن يدرس المتربّي سر نجاح هذا الشخص الذي يتخذه أسوة وقدوة، وإلا فإن الاقتصار على تقليد المتربي من الأسوة والمقتدى به لن يوصله إلى المقصد المطلوب.

وفي عصرنا الراهن يُعتبر الإمام روح الله الخميني ﵀ والإمام علي الخامنئي من أبرز الشخصيات التي أفلحتْ في حياتها الفردية الاجتماعية. فقد قادا ثورة إسلامية لم ينحصر تأثيرها في إيران فحسب، بل تخطى ذلك ليشمل المنطقة والعالم. وفوق ذلك فإن هذه الثورة استطاعت أن تبدل المعايير وتقلب الموازين في عالم السياسة الدولية ولا تزال، على جميع الأصعدة.

عندما ندرس الأسباب التي منحت القدرة والعظمة لهذه الثورة، سنجد ذلك على نحو خاص في عامل القيادة الذي لعب دوراً مهماً وحاسماً في هذا المنحى.

لقد صدرت في الآونة الأخيرة كتب كثيرة حول هاتين الشخصيتين الكبيرتين. لكن ما نحن بصدده في هذا الكتيّب هو درس وملاحظة سر نجاح الإمام الخميني ﵀ والإمام الخامنئي في حياتهما الفردية والاجتماعية، وإمكان أن تكون مدرستهما الأخلاقية والسياسية والاجتماعية مصدر هداية للآخرين.

ليس من شك في أن هاتين الشخصيتين التاريخيتين قدَّمتا نموذجاً فريداً في حياتهما الدينية والأخلاقية والإنسانية والسياسية. وهذا النموذج الذي سعينا في هذا الكتيِّب إلى عرضه، إنما قدَّمناه من أجل تظهير الأمثلة العملية والنظرية على القدوة الحسنة التي ينبغي اتباعها.

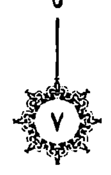
نشير إلى أن موضوعات هذا الكتيِّب هي حصيلة محاضرات ودروس أُلقيتْ في بعض الدورات التعليمية في بيروت، في حين قُدِّم عدد منها ضمن سلسلة من الحلقات التلفزيونية على قناة «الصراط» الفضائية التي بُثَّتْ في خلال السنة ٢٠١٢. واستجابة لاقتراحات وتشجيع عدد من الأخوة والأصدقاء، فقد وجدتُ فائدة علمية وتربوية لنشرها لتكون بين أيدي القراء الأعزاء، ولهذا عزمتُ على طبعها ونشرها تلبية لدعوتهم.

هذه الطريقة في درس خصائص حياة الشخصيات النموذجية هي ذات أثر اجتماعي وحضاري عميق في إثراء ثقافة الأمة. وما قمنا به ليس بعيداً من الخطأ، لذا نأمل أن يهدينا القراء الكرام إلى النواقص والأخطاء لنستفيد من آرائهم ورؤيتهم.

وختاماً أشكر كل الذين ساهموا في طبع هذا الكتاب، فإن من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق...

سيد محمد حسين رئيس زاده

٢٠١٢م

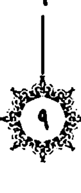




تمهيد
دور القدوة في تربية الفرد والمجتمع

من العوامل المؤثّرة في تربية الفرد والمجتمع وجود القدوة ممن استطاعوا أن يصلوا إلى مدارج الكمال. إن البحث حول الأسوة الحسنة واتخاذها نموذَجاً يُقتدى به في الحياة العامة أمر عايشه الإنسان في مختلف العصور والأزمنة. فعملية الاقتداء هي غريزة فطرية في الإنسان إضافة إلى الرغبة في المحاكاة والاستعداد النفسي للتقليد والاقتداء فهو يبدأ من زمن الطفولة. وأول قدوة للإنسان هما الوالدان، ثم إذا كبر الولد واتّسع محيط معارفه شيئاً فشيئاً يتّخذ ممن يعجب بهم أو يميل إليهم قدوة له في الأفكار والتوجهات واللّباس... إلخ. وهذه القدوة قد تكون أحد أفراد أسرته أو معلماً في مدرسته، أو شخصية عرفها عن طريق الشهرة في وسائل الإعلام... إلخ.

وكلٌّ من يسير نحو تحقيق هدف معين في حياته لا بد وأن يبحث عن النموذج الذي يقتدي به خلال مسيرته؛ لأن القدوة في الحقيقة هي المثال الحيّ الواقعي للمرتقي في درجات الكمالات، والذي يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والمحبة وتزداد دوافع الغيرة المحمودة



والمنافسة الشريفة، وبالتالي تعطي القدوة للآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل هي من الأمور الممكنة التي تكون نتيجتها سبباً لطرد العجز والكسل. وقد لا يكون اقتداء الإنسان بأسوته في مجال تحقيق أهدافه المتوخاة، بل ربما يتعداه إلى تقليد الفرد الأسوة في جميع حركاته وسكناته.

ونحن بحاجة في هذا العصر إلى أن نقدم لشبابنا أمثلة اقتدائية ممّن برزوا في الجوانب العلمية والأخلاقية والإدارية... إلخ، حتى في جوانب التفوّق على المشكلات التي يعانونها؛ القدوة ليست وحدها الكفيلة ببناء الأشخاص وتربيتهم، فهناك جوانب أخرى يجب مراعاتها في العملية التربوية لكونها من أعظم المعينات على بناء العادات الحسنة وترسيخ الأخلاق والسلوكيات الطيبة لدى المتربّي، وذلك لأن القدوة تنطوي في داخلها على نوع من الحب والإعجاب الذي يجعل المقتدي محمولاً على تطبيق كل ما يستطيع من أقوال وأفعال. فالاقتداء أمرٌ منطلق من قناعة صاحبه ولا يكون حاصل ممارسة اضطرارية، أو قسر المقتدي على أمر معين.

وقد أكد القرآن الكريم على ضرورة الاقتداء بالأسوة الحسنة، حيث أشار إلى هذا الموضوع في بعض آياته حين وصف كلاً من نبينا إبراهيم عليه السلام ونبينا محمّد صلى الله عليه وآله على أنهما أسوة وقدوة للمؤمنين ونموذجٌ يجسّد الدين والقيم الإلهية حتى يعيش الناس مع هذا الدين ورسوله واقعاً حقيقياً بعيداً عن الأفكار المجردة، وبالتالي لا يرونه حلماً مترفاً لذيذاً يطوف الأفهام بل واقعاً يتحرك وسلوكاً عملياً لا مجرد أمانٍ في

الخيال. و الجدير بالذكر أن هدف القرآن الكريم من سرد قصص الأنبياء ومواقفهم، هو بالتحديد الاعتبار والتأسّي.

ومن الجدير ذكره، أن الله تعالى جعل لكل أبناء البشرية، وفي جميع مراحل حياتهم أسوة يستطيعون الاقتداء بها، لئلا يتذرَّع من انحرف عن جادة الصواب والمعرفة يوم القيامة، بصعوبة الطريق واستحالة التوصل إلى الطرق المؤدية إلى مدارج الكمال والمعرفة. إذن وجود المتقين والصالحين يعتبر حجّة للناس جميعاً على مرّ العصور والأزمنة.

إن التعرّف على التاريخ وأحوال السابقين لا يقتصر على اتخاذ العبرة من سوء عاقبة الظالمين وهلاكهم، بل هو أيضاً من أجل التعرّف على سيرة العظماء والصالحين والاقتداء بها. وعلى هذا الأساس يعتبر السعي إلى قراءة التاريخ والاطّلاع عليه درساً وعبرة في الوقت ذاته.

الإمام روح الله الخميني رحمه الله والإمام علي الخامنئي يعتبران من العلماء والمفكرين العظام. لقد ترك الإمام أثراً مهماً واستثنائياً في العالم الاسلامي وسائر العالم في ختام القرن العشرين المنصرم. كذلك يواصل الإمام الخامنئي المسيرة الولائية ليكون القدوة القيادية في القرن الحالي. من هنا ارتأينا أن نتناول الأبعاد المختلفة لهاتين الشخصيتين ونقوم بدراستها، لأن عالمنا اليوم هو في أمسّ الحاجة إلى معرفة تلك الأبعاد ولا سيّما الفكرية منها.

في مجال بحثنا هذا سوف نتطرق إلى ما يميز سيرتهما الشخصية لتكون قدوة وأسوة عمليّة ونوراً يهتدي به سالكو



الطريق الإلهي، ونحن لسنا في صدد التطرق إلى أفكارهما ومعتقداتهما. ولعلّ السؤال الذي يمكن أن يدور في أذهان البعض هو: هل من الممكن لفرد ما أن يتوصّل إلى ما كان عليه الإمام روح الله الخميني ﵀ أو إلى ما توصل إليه الإمام الخامنئي، أم أنهما يعتبران شخصيتيّن فريدتين لا مثيل لهما؟ وبعبارة أخرى فإننا من خلال هذا البحث نريد أن نبيّن أساس وسرَّ النجاح في حياتهما من خلال التعرّف على سيرتهما العملية.

ومن الجدير ذكره أيضاً أن الإنسان يملك استعداداً خاصّاً يستطيع من خلاله أن يصل إلى أعلى مدارج الكمال، أو يهبط إلى أدنى الدرجات فيكون في أسفل السافلين ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[١]، اي أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى مقام النفس المطمئنة ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ...﴾[٢] التي أشار إليها الإمام روح الله الخميني ﵀ الراحل في وصيَّته قائلاً: **«أنا أرحل بنفس مطمئنّة وضمير يغمره الأمل بفضل الله»**، كما أن بإمكانه أن ينزل إلى الدرجة السفلى فيكون ﴿... كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٣]. لذا فإن الصعود إلى المقامات العليا بحاجة إلى إرادة ثابتة وهمَّة عالية ومعرفة بالطريق وذلك من خلال الاعتناء بالقضايا الأساسية التي سيتم ذكرها.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٢) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.




الفصل الأول

العوامل الذاتية المؤثرة في الشخصية القيادية للإمام روح الله الخميني رحمه الله والإمام عليّ الخامنئي






أولاً: العائلة

إن محيط الأسرة والنموّ المعنويّ للإنسان يؤثران تأثيراً بارزاً في تعيين مصيره. فكل إنسان ـ كما في الحديث الشريف ـ يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه. وعلى هذا الأساس وَجَب على الفرد أن يكون دقيقاً في انتخاب من ستكون أماً لأولاده، حيث جاء في الحديث الشريف «إيّاكم وخضراء الدمن»؛ أي يحذّر من اختيار فتاة حسناء في منبت السوء كزوجة. ونحن هنا في صدد بيان أهمية هذه المسألة ودورها في الحياة، ولسنا في صدد سرد قصة حياة هاتين الشخصيتين.

إن الإمام روح الله الخميني ﷺ والإمام علي الخامنئي قد نشآ وتربّيا في أسرتين متديّنتين وملتزمتين. يقول الإمام علي الخامنئي: إن «من جملة الخصوصيات التي كان يتمتع بها كل من الوالد والوالدة، والتي من الصعب تواجدها عند الآخرين، هي: عدم التعلق بزخارف الدنيا وبهارجها». يضيف: «إن أبوَيَّ كانا صالحين، ووالدتي كانت امرأة مدركة للأمور، متعلّمة، تحب المطالعة والشعر والفن، لا سيما شعر حافظ الشيرازي، وكان لها أيضاً معرفة كاملة بالقرآن الكريم... وعندما كنّا أطفالاً

نجتمع مع بعضنا البعض، كانت أمي تجلس معنا وتقرأ لنا القرآن، وتُبيّن لنا مضامين الآيات التي تتعلق بسيرة الأنبياء ﷺ، وكانت أول من عرّفني على سيرة النبي يوسف والنبي إبراهيم ﷺ».

إن والد كلٍّ من الإمام الخميني ﵀ والإمام الخامنئي كان من المجاهدين، إذ استشهد والد الإمام الخميني خلال مواجهته للأعداء؛ وكذلك والد الإمام علي الخامنئي كان مجاهداً ومعارضاً للنظام الملكي البهلوي، يقول الإمام الخامنئي: **«والدي كان يعارض جميع أعمال رضا خان البهلوي، من جملتها أنه لم يرضَ لي بالزيّ الذي فرضه رضا خان على الناس، حيث كنت ومنذ العاشرة من عمري أرتدي زيّ رجال الدين، ومنذ بداية ذهابي إلى المدرسة كنت ألبس الجبَّة والعمامة».**

الاهتمام بتربية الأسرة

كان كل من الإمام الخميني ﵀ والإمام الخامنئي يهتم اهتماماً شديداً برعاية حقوق الأسرة. وقد كان الإمام علي الخامنئي بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران يتصدّى لمسؤوليات عديدة، ولم يكن لديه فرصة مناسبة للاهتمام بتنمية الروح المعنوية والأخلاقية لدى أولاده، لذلك اختار أحد معلّمي الأخلاق والعرفان ليكون مسؤولاً يشرف على تنمية الروح الأخلاقية والمعنوية لديهم.

هناك نقطتان في تربية الأسرة تتمتعان بدرجة عالية من

الأهمية، أولاهما: الاعتدال والابتعاد عن الإفراط والتفريط، والأخرى: رعاية الحدود الشرعية في الواجبات والمحرمات.

ويُنقل عن زوجة الإمام روح الله الخميني ﵀ وأولاده أن الإمام كان يقول لهم دائماً: **«إنكم أحرار في ذهابكم وإيابكم وطعامكم وشرابكم ما دمتم تراعون الحدود الشرعية للواجبات والمحرمات الإلهية»**.

ويذكر المقربون من الإمام روح الله الخميني، بأنه كان يكنّ لزوجته احتراماً كبيراً، وكان يوصي أولاده باحترامها.

ويذكر أحد مرافقيه: «أن تنظيم الوقت عند الإمام كان عجيباً جداً، حتى وقت تناول الطعام، حيث ذكر المرحوم الحاج أحمد الخميني أنه دعا والده مرة لتناول الغداء لكن الإمام نظر إلى ساعته وقال: لم يحن وقت تناول الغداء بعد، وبعد أن تكلمنا مع بعض لبرهة قصيرة، ذهبت نحو الباب لكي أخرج، ناداني الإمام قائلاً: إذا أردت فقل لهم أن يجلبوا الطعام، قد حان وقته الآن. هذا يبيّن مدى احترام الإمام للوقت».

ويذكر أيضاً أن زوجة الإمام روح الله الخميني ﵀ ذهبت مرة لزيارة حضرة شاه عبد العظيم(س)، وكنت أنا أقود السيارة حينها، وكان الوقت يقترب من الظهيرة، فطلبت الحاجّة (زوجة الإمام) أن نسرع، لأنها لم تخبر الإمام باحتمال تأخّرها عن الغداء، وربما ينتظرها ولا يتناول الغداء وحده إن تأخّرَت، فطلبت مني الإسراع لكي لا تتأخر عن الموعد. كان الطريق مزدحماً، وعندما وصلنا كان الوقت قد تأخر عن موعد الغداء لمدة ٢٥ دقيقة أو نصف ساعة؛ فقالت الحاجّة: الظاهر أن

الإمام قد تناول الطعام. في الواقع لم يكن الإمام قد تناول شيئاً من الطعام، بل كان منتظراً قدوم زوجته. لمّا عرفوا في المنزل بقدوم الحاجّة هيّأوا المائدة، وقالت الحاجّة للإمام: لماذا لم تأكل؟ فأجابها بلطف واحترام: أنت لم تتفضّلي وتخبريني باحتمال تأخرك، وإلا لكنّا تناولنا الطعام، أي قالها بعبارة **«أنت لم تتفضّلي وتخبريني»**. إن الإمام لم يكن مستعداً لتغيير موعد تناول غدائه ولو لدقيقة واحدة عندما كان يتكلم مع ابنه المرحوم الحاج أحمد، لكنه انتظر نصف ساعة احتراماً لزوجته.

السيدة فريدة مصطفوي بنت الإمام روح الله الخميني ﷺ تقول: لم نسمع يوماً بأن الإمام قال لزوجته مرة: أنجزي لي هذا العمل أو اجلبي لي شيئاً مثلاً، كان دائماً يوجّه الخطاب لنا أو لمن يخدم في البيت، وإذا لم نكن متواجدين في البيت كان ينادي: **«يا سيدة (يعني أمي)! قولي بأن يأتوني بالشاي»**.

من الطبيعي أن أمي كانت تلبّي حاجاته بنفسها إذا لم يكن هناك أحد في البيت، مع أنه لم يكن يوجّه لها أمراً أو يطلب منها شخصياً، كان الإمام يحترم زوجته كثيراً وكان دائماً يُظهر ويبيّن محبّته واحترامه لها أمامنا، نحن أولاده.

تذكر السيدة فاطمة طباطبائي زوجة السيد أحمد ابن الإمام روح الله الخميني ﷺ، أنه لم يكن يطلب من زوجته أن تقدّم له خدمة. فعلى سبيل المثال إذا كانت ملابسه يوماً تحتاج إلى وضع زر مفقود كان يقول: هل من الممكن أن تعطيه لأحد كي يخيطه؟ فما كان يقول أرجو أن تخيطيه أنت، وفي اليوم التالي إذا لم يكن طلبه جاهزاً كان يقول: ألم يكن من أحد يخيط لي

هذا الزر؟ ولآخر يوم في حياته لم يطلب الإمام من زوجته أية خدمة حتى جلب كأسٍ من الماء.

كان الإمام يحاول أن يرشد أولاده وأحفاده الصبيان بأنّ عمل الزوجة في البيت هو محبَّة منها وليس واجباً مفروضاً عليها، وفي الوقت نفسه كان ينصح بناته بالعمل داخل البيت.

تقول السيدة فريدة بنت الإمام إن الوالد كان يساعدنا في أعمال المنزل، وكان يقول لنا إن هذه المساعدة جاءتكم من السماء.

فلطالما كان يسكب الشاي لنفسه، وعندما كان يريد أن يشرب لم يكن يطلب من أحد أن يحضر له الماء، بل كان يذهب إلى المطبخ بنفسه ويشرب، وعندما كنا نقول له: لماذا لم تطلب منّا؟ كان يقول: **«يجب عليَّ أن أقوم بالأعمال بنفسي، الإنسان يجب أن يكون عنده اكتفاء ذاتي»**.

وتنقل السيدة طباطبائي عن زوجة الإمام روح الله الخميني ﵀ قولها: كنت أسهر على رعاية أطفالي لأنهم كانوا يبكون طوال الليل، فقرّر الإمام أن يتقاسم نوم الليل معي؛ فكان يسهر ساعتين ومن بعده أنا أسهر ساعتين لرعايتهم، إلا في الأيام التي يكون فيها مشغولاً بالدرس أو المطالعة، ولم يكن لديه وقت حينها.

ويذكر أولاد الإمام روح الله الخميني ﵀ بأنه كان يشاركهم اللعب، حيث كان الإمام يخصص ساعة للّعب معهم، أي أنه كان يشارك زوجته في تربية الأطفال أيضاً.

يتقل الدكتور بروجردي بعض النصائح التي كان يسديها الإمام روح الله الخميني ﷺ للزوجين ومنها: التوكّل على الله تعالى والتسامح، كان يقول: من الممكن أن يختلف الزوج والزوجة في بعض الأمور، إذا لم يتنازل أحد الطرفين عن موقفه ويغضّ النظر، فسيبقى الاختلاف قائماً، أما إذا تنازل أحد الطرفين فسوف يصلح الطرف الآخر موقفه. وأيضاً التوكّل على الله تعالى أمرٌ ضروري لحياة الدنيا والآخرة؛ لأن الإنسان المتوكّل يفوّض كل الأمور إلى الله تعالى.

وتروي السيدة فريدة مصطفوي بنت الإمام: أنَّ تعامل الإمام مع زوجات أبنائه وأصهرته كان في غاية الاحترام والمحبة، ولأن الصهر لا يعتبر من المحارم مع بعض أهل البيت في الشرع الإسلامي، لم يكن يوافق على زيارة الصهر المتكرّرة إلى البيت، فقد كان يبدي أهمية كبيرة لتطبيق هذا الأمر ومراعاته. كان ينصح الزوجين دائماً بعد أن يتمّ عقد قرانهما بأن يكونا متحابّين، وينصح الشاب ويقول له: **«اترك مشاكلك خارج البيت عندما تدخله، وحاول أن تكون محباً وعطوفاً داخل البيت»**. **وكان ينصح الأخوات أيضاً قائلاً: «من الممكن أن تكوني تعبة من عمل المنزل، ولكن حاولي أن لا تظهري تعبك لزوجك، استقبليه بحفاوة ولتكن حياتكم مليئة بالمحبة»**.

كان يأمر أولاده وينهاهم في حدود الأوامر والنواهي الإلهية، وحسب ما نقل عن أولاده، بأنه لم يكن يوقظهم لأداء صلاة الصبح، إذا لم يكونوا قد طلبوا منه ذلك، لأنه ليس من المسموح شرعاً إيقاظ أحد من نومه دون إذن منه. وعندما كان

الإمام روح الله الخميني ﷺ يريد أن يؤدّي صلاة الليل، كان يتحرك بهدوء لئلا يزعج أحداً.

من وصاياهما بحق الوالدين

ومن وصايا الإمام روح الله الخميني ﷺ والإمام علي الخامنئي المؤكدة: احترام الوالدين، حيث كانا يكرران هذه الوصية لعامة الناس. في هذا الصدد يروي أحد أفراد مكتب الإمام روح الله الخميني ﷺ هذه القصة: في يوم من الأيام قَدِم والدي من إحدى المحافظات لزيارتي، في اليوم التالي اصطحبت والدي معي إلى المكتب، وعندما ذهبت إلى محضر الإمام لأعرض عليه ما تمَّ إنجازه، اصطحبت أبي معي، فكنت أمشي وكان أبي يمشي ورائي ويتبعني، ولما وصلت إلى الإمام وعرّفته على والدي، قال لي: «**إذا كان هذا والدك، فلماذا تمشي أمامه وهو يتبعك**»؟!.

وقد كان الإمام الخامنئي يحترم والديه احتراماً فائقاً، حيث قال بأن احترامه لأبويه كان سرّ نجاحه وموفقيّته ووصوله إلى درجة عالية من المكانة والرفعة.

ونقل آية الله السيد محمود الهاشمي عنه قوله: «كنت أتمتّع منذ طفولتي بذاكرة قوية، وكنت أتطوّر في درسي بسرعة؛ وخلال دراستي في الحوزة العلمية، كنت أتدّرج بسرعة، وكان أساتذتي حينها يبدون اهتماماً خاصاً تجاهي ويتوّقعون منّي أن أكون أحد مراجع الشيعة. في أحد الأيام حين كنت أقيم في قمّ، وصلتني رسالة من مشهد تخبرني بأن أبي يعاني من مرض في

عينه، وكان أبي يحبني كثيراً، وكنت أنيسه وأجلس معه وأقرأ على مسمعه الكتب. كان نظره ضعيفاً جداً ولا يستطيع المطالعة بنفسه. وكان حينها بحاجة ماسّة إلى إجراء عملية جراحية. ذهبت إلى مشهد واصطحبت والدي إلى طهران لمعالجته، لكن الأطباء حينها يئسوا من علاجه وقالوا بأنه سوف يصاب بالعمى جرّاء مرضه هذا. كان أبي يأنس معي أكثر من بقية إخوتي، لذلك طلب مني ترك قمّ والعودة إلى مشهد لملازمته، كان هذا الطلب صعباً جداً عليّ، لأن ترك الحوزة العلمية في قمّ هو بمثابة تدمير مستقبلي، فحزنت جداً وبقيت متردّداً بين أمرين، إطاعة أبي أو ضمان مستقبل زاهر. كان أساتذتي ومن بينهم آية الله المرحوم الشيخ مرتضى الحائري، كان يخالف عودتي إلى مشهد وكان يقول إن أمل الشيعة والحوزة منوط بك. كنت قلقاً جداً، حتى ذهبت يوماً إلى محضر أحد العرفاء في طهران، لما رآني مشغول البال وغير مستقر سألني عن السبب، ولما عرف قال لي: يا سيّد عليّ! إنَّ ربَّ قمّ هو نفسه ربُّ مشهد، إن أراد الله سبحانه وتعالى في المستقبل أن يهبك مقاماً رفيعاً، وأن تكون من خَدَمَةِ الإسلام، سوف يهيئ لك المقدمات والوسائل لترتقي إلى هذه الدرجة، سواء كنت في مشهد أم قمّ، ثم قال الإمام: فصممت حينها على إطاعة والدي والرجوع إلى مشهد، حتى وفّقني الله في مسيرتي العلمية واستطعت أن أتطوّر في دراستي أكثر مما كنت لو بقيت في قمّ».

ثانياً: الهمّة العالية

الهمّة هي الباعث على الفعل، وتُقَسَّم من حيث الرفعة وضدها إلى عالية وساقطة. وعرَّف بعضهم علوّ الهمّة بأنه: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور. الهمّة العالية هي العمود الفقري لكل إنجاز نحب أن نحققه في حياتنا، كما قال الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

إن الهمّة العالية تنبع من رفعة وعلو الروح والفكر، والهمّة الضعيفة والمتدنية تجعل صاحبها يتخبط في مدار تحقيق أوهامه وأهدافه المحدودة.

القرآن الكريم يشير إلى الهمّتين العالية والساقطة في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[١].

وامتلاك همّة عالية وعدم الاكتفاء بالحد الأدنى من تحقيق الأهداف السامية، يدل على سموّ شخصية الإنسان. ومنزلة الفرد ومكانته تتحدّد بعلو همّته ورفعتها (المرء بهمّته)، كما أنّ الهمّة العالية ترتقي بصاحبها وترفعه (ما رفع امرأً كهمّته).

وكذلك تناولت الروايات والأحاديث مسألة ارتباط الإنسان

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٠ و٢٠١.



بقدرة همّته، وها هو الإمام عليّ عليه السلام يقول: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، ويقول: «قَدرُ الرّجُلِ على قَدرِ هِمَّتِهِ»[1].

وعنه عليه السلام: «مَن شَرُفَت هِمَّتُهُ عَظُمَت قِيمَتُهُ»[2].

ويقول عليه السلام: «مَن كانَت هِمَّتُهُ ما يَدخُلُ بَطنَهُ، كانَت قِيمَتُهُ ما يَخرُجُ مِنهُ»[3].

ويقولُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَن كانَت هِمَّتُهُ أكلَهُ، كانَت قِيمَتُهُ ما أكَلَهُ»[4].

وعنه عليه السلام: «بِقَدرِ الهِمَمِ تكونُ الهُمومُ»[5].

يقول الإمام الصّادقُ عليه السلام: «ثَلاثٌ يَحجُزنَ المرءَ عَن طَلَبِ المَعالي: قِصَرُ الهِمَّةِ، وقِلَّةُ الحِيلَةِ، وضَعفُ الرّأيِ»[6].

ويقول الإمام الباقرُ عليه السلام: «لا شَرَفَ كبُعدِ الهِمَّةِ»[7].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «الشَّرَفُ بِالهِمَمِ العاليَةِ لا بِالرِّمَمِ الباليَةِ»[8].

وقد ورد في الزيارة الجامعة لأمير المؤمنين عليه السلام: «واجعل خير العواقب عاقبتي، وخير المصاير مصيري، وأنعم العيش

---

(١) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج١٠، ص٣٦٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج١٠، ص٣٦٢.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) غرر الحكم، ج٢، ص١٠٦، ح١٩٩١.

عيشي، وأفضل الهدى هداي، وأوفر الحظوظ حظّي، وأجزل الأقسام قسمي ونصيبي».

ثَمراتُ عُلُوِّ الهِمَّة

إنَّ لعلوّ همَّة الإنسان آثاراً إيجابية عديدة تنعكس على شخصيته، منها: الحِلم، الأناة، الكرم، الحمِيَّة، الشجاعة، العفّة، القناعة... إلخ.

وفي هذا يقول الإمام عليه السلام: **«الفِعلُ الجَميلُ يُنبِئُ عَن عُلُوِّ الهِمَّةِ»**[1].

وقال عليه السلام: **«الكَفُّ عَمّا في أَيدِي النّاسِ عِفَّةٌ وَكِبَرُ هِمَّةٍ»**[2].

وعنه عليه السلام: **«مِن شَرَفِ الهِمَّةِ لُزومِ القِناعَةِ»**[3].

ويقول عليه السلام: **«ما أَبعَدَ الخَيرَ مِمَّن هِمَّتُهُ بَطنُهُ وَفَرجُهُ»**[4].

الإمام زينُ العابدين عليه السلام يقول في الدُّعاءِ: **«أسألُكَ مِن الشَّهادَةِ أقسَطَها، ومِن العِبادَةِ أنشَطَها... ومِن الهِمَمِ أعلاها»**[5].

الإمام عليّ عليه السلام: **«الحِلمُ والأناةُ تَوأمانِ يُنتِجُهُما عُلُوُّ الهِمَّةِ»**[6].

وقال عليه السلام: **«الكَرَمُ نَتيجَةُ عُلُوِّ الهِمَّةِ»**[7].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٥، ح١٣٨٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٥، ح١٣٨٧.
(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٤، ح٩٤٣٥.
(٤) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج٦، ص٩٣، ص٩٦٤٢.
(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ص٣٦٢.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.

وعنه عليه السلام: «على قَدرِ الهِمَّةِ تكونُ الحَمِيَّةُ»[1].

ويقول عليه السلام: «شَجاعَةُ الرّجُلِ على قَدرِ هِمَّتِهِ»[2].

يقول الإمام الباقرُ عليه السلام: «إستَجلِبْ عِزَّ اليأسِ بِبُعدِ الهِمَّةِ»[3].

قِصَرُ الهِمَّةِ

ينعكس قصر همّة الإنسان سلباً على أعماله وتصرفاته، فتراه يغرق في: الحسد والرذيلة والمهانة والجبن، وغيرها من الصفات المشينة، ويقول الإمام عليّ عليه السلام في ذلك: «مَن صَغُرَت هِمَّتُهُ بَطَلَت فَضيلَتُهُ»[4].

وعنه عليه السلام: «مِن صِغَرِ الهِمَّةِ حَسَدُ الصَّديقِ علَى النِّعمَةِ»[5].

وقال عليه السلام: «لا هِمَّةَ لِمَهينٍ»[6].

من أولويات نظام التربية الإسلامية ومن ضمنها أدعية أهل البيت عليهم السلام، هي تربية أفراد من ذوي الهمم العالية، حيث نقرأ في دعاء شهر رمضان ما يلي: «اللّهم أغنِ كل فقير، اللّهم أشبع كل جائع»، هذا الدعاء يبيّن لنا ضرورة اتّساع أفق النظرة الإنسانية، لتشمل العالم بأسره وعدم تحديدها بالنفس والأسرة فقط.

---

(١) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج١٠، ص٣٦٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

المعرفة شرط من شروط الهمّة العالية والرفيعة

ماذا علينا أن نفعل لتكون همّتنا عالية ورفيعة؟

إن أصحاب المعرفة هم الذين يجعلون لأنفسهم أهدافاً سامية وراقية في حياتهم، ويسيرون نحو تحقيقها والفوز بها خلال مسيرتهم في الحياة. فالأهداف تتحدد تبعاً لمقدار ومستوى الجانب المعرفي الذي يمتلكه الإنسان، فبعض الأفراد كالحيوانات، لا يفكرون إلا باللّذائذ المادية الجسمانية وإشباع بطونهم **«كالبهيمة همُّها علفُها»**، لأن معرفتهم لا تتجاوز هذه الأمور المادية، فلذّتهم محدودة بمقدار معرفتهم وإدراكهم.

يشير القرآن الكريم إلى هذا الموضوع من خلال الآية الكريمة: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ...﴾[1]، لأن معرفتهم لا تتجاوز هذه الأمور، فإذا قوي الجانب المعرفي يستطيع الإنسان أن يطّلع على الأمور التي هي أنفع له من غيرها، وبما أن الإنسان مجبول على طلب الخير والصلاح لنفسه، فلا بدّ وأن يستخدم معرفته ويسعى من أجل الوصول إلى ما هو الأنفع والأصلح لنفسه. إذن وجب أن نسعى لتقوية الجانب المعرفي، وذلك من أجل التوصّل إلى معرفة أنفسنا والوجود والله (سبحانه وتعالى) وهدف الخلقة لماذا أوجدنا الله (سبحانه وتعالى) في هذا العالم، وأيضاً معرفة الدرجات والمراتب التي نستطيع أن



(١) سورة النجم، الآيتان: ٢٩ و٣٠.

ندركها خلال مسيرتنا في الحياة وماهيّة علاقتنا وارتباطنا بخالق الكون تعالى.

إن إدراك هذه الأمور وفهمها يقوي الجانب المعرفي عند الإنسان ويرفعه عن مستوى الذين اتبعوا الدنيا وهواها، وهم الذين أشار اليهم الله (سبحانه وتعالى) في القرآن الكريم. إذن تقوية الجانب المعرفي عند الإنسان تدفع به نحو التعرّف على سرّ الوجود ومعرفة الله تعالى، فيوجّه أعماله نحو كسب رضوان الخالق والتقرّب إليه، دون الانغماس في الملذّات المادية البحتة، حتى يصبح هدفه التقرّب إلى الله تعالى، ويصبح كسب الطاعة الإلهية عنده أكبر حظاً وأهمية من الدنيا وملذّاتها، فلا يأسى على الدنيا وما فيها من اللّذائذ المادية المتمثلة بالمناصب الدنيوية وغيرها.

إن مجالسة أصحاب الهمم الضعيفة أو المتدنية تمنع الروح الإنسانية من الارتقاء والعلوّ، وتتآلف معها، لذلك هناك العديد من الوصايا التي تمنع مجالستهم «**من دنت همَّتُه فلا تصحبه**».

إن كلا من الإمام روح الله الخميني ﵀ والإمام الخامنئي كانا يتمتعان بهمّة عالية، كما كان لكل منهما أهداف وتطلعات واسعة، يحاولان التوصل إليها من خلال السعي والمثابرة، وفي الوقت نفسه كان الآخرون يعتقدون أن تحقيق مثل هذه الأهداف أمرٌ مستحيل، لا يمكن التوصل إليه، لكن بالهمّة العالية والمثابرة المستمرة استطاعت هاتان الشخصيتان أن تحققا هذه الغاية الرفيعة والأهداف السامية.

يقول أحد المفكرين: في إحدى المرات ذهبنا إلى حضرة



الإمام الخامنئي، وسأله أحدنا: هل كنت تتوقع في يوم من الأيام أن تكون قائداً؟ قال: «إذا سمحتم لي بأن أجيبكم بذات الجواب الذي أجبته لصديقي قبل سنين مديدة» (صديق الإمام الخامنئي متوفٍّ).

قال الإمام: «كنت أدرس في مدرسة سليمان خان في مشهد، وكنت أذهب صباحاً إلى الدرس وأعود ليلاً للتباحث في الدروس التي درستها، وفي أحد الأيام صعبت عليَّ إحدى المسائل المطروحة في الدرس ولم أستطع فهمها، حاولت معرفتها لكنني لم أوفّق، لذلك كنت أكرّر المسائل وأتمشى داخل الغرفة شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، ولم أكن أفهم شيئاً، فغضب زميلي في الغرفة، الذي كان دوره في تحضير العشاء وقال: اجلس يا سيد فقد برد الطعام، لماذا تتجول في الغرفة بهذه الطريقة، ماذا تريد أن تفعل؟ أنت لم تفهم الإشكالية، ولا أحد في الصف قد فهمها، تعال اجلس لنأكل فقد برد الطعام، ومن ثم قال: لمن تكرر قراءة هذا الموضوع؟ كم من طلاب مدرسة سليمان خان سيرتدي العمامة؟ وكم واحد من الذين يرتدون العمامة سوف يبقون بهذا الزي؟ (إن هذه المعتقدات خلّفها ما قام به رضا خان) .وكم منّا إذا بقي في زيه سوف يكون إمام جماعة مسجد محلّته؟ وإذا أصبحنا من أئمة المساجد، من الذي سيسألنا هذا السؤال؟ يا سيد! من منّا يريد أن يكون مجتهداً؟ وإذا أصبحنا مجتهدين، من منّا يريد أن يكون مرجع تقليد، لكي يتحتّم علينا معرفة هذه المسألة؟ لماذا لا تأتي وتأكل الطعام»؟



يقول الإمام: **«لقد أجبت على سؤاله وأحب الآن أن أذكره كجواب لسؤالكم. كنت حينها قد بلغت سن التكليف، لكنني قبل أن أبلغ سن التكليف كنت أصلي وأدعو في قنوتي بهذا الدعاء «اللّهمَّ اجعلني مجدّداً لدينك ومحييَ شريعتك»**.

عندما ذكر الإمام هذه العبارة التفت إلينا وقال: **«أنا ومع الأسف الشديد لم أحقق ما كنت أهدف إليه لحدّ الآن»**.

يقول أحد العلماء: كان الإمام الخامنئي يحاضر في زمن الشاه، وكان الآلاف من الشباب الجامعيين يأتون لسماع محاضراته، فقلت له يوماً: لماذا أنت تواجه الشاه؟ وأنت تستطيع أن تحاضر بهذا الجمع الغفير من الناس وتهديهم وتبيِّن لهم المعارف الإسلامية، وإنك بمواجهتك للشاه سوف تحرم هذا العدد الكبير من الاستماع إليك، فأجابني مشيراً إلى عدة نقاط قائلاً: **«يجب أن نصل إلى مرحلة نستطيع أن نخاطب العالم الإسلامي بأكمله، وأن تستطيع الأمة الإسلامية الاستماع إلينا»**.

يكتب المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية ما يلي: عندما هجم الكيان الصهيوني المحتل للقدس على جنوب لبنان، وصلت أوضاع الناس إلى حالة يرثى لها، وكان الناس حينها بحاجة ماسّة إلى مساعدات مالية ومادية، لذلك ذهبت مع بعض العلماء اللبنانيين من الذين كانوا يدرسون في النجف الأشرف إلى مراجع التقليد ومن جملتهم الإمام روح الله الخميني ﵀، وبعد أن شرحنا له أوضاع لبنان طلبنا منه مساعدات معينة، لكن الإمام حينها قال: ادعوا ليسقط شاه إيران ونستطيع أن نؤسس

حكومة، فقال المرحوم مغنية: أنا انزعجت من هذا الجواب، ولم أفهم معنى كلام الإمام هذا، لكن اليوم وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، فهمت وعرفت عمق الجواب، حيث استطاع ﷺ بإسقاطه للشاه أن يساعد لبنان ويدافع عن القضية الفلسطينية بشكل لم تستطع أي دولة أو جهة أخرى أن تقدم مثل هذه المساعدة.




الفصل الثاني

العوامل الاكتسابية المؤثرة في نهضة الإمام الخميني رحمه الله والإمام الخامنئي






جهاد النفس

إن الإنسان موجود تدفعه نفسه الأمّارة إلى ارتكاب المعاصي ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[1]، لذلك تعتبر مواجهة النفس والمسماة في الروايات الإسلامية الجهاد الأكبر، الطريق الوحيد الذي يمكن من خلاله نيل السعادة والفلاح، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2].

إن سرّ عدم انحراف رجال الله والعلماء الراسخين في الدين يكمن في تهذيب النفس وصقلها، وهناك عدد كبير من العلماء وقعوا في شباك الغرب أو الشرق وشياطين الإنس والجنّ بسبب عدم سعيهم في الخوض في مسير الجهاد الأكبر. إن الابتعاد عن تهذيب النفس يؤدي إلى تحوّل القوى المادية والمعنوية للإنسان إلى حجاب يحرفه عن الاستمرار في مسيرته الربّانية. وكلما ارتقى الإنسان وحصل على مناصب ومقامات دنيوية ومادية أعلى، تتضاعف حاجته إلى صقل نفسه والتوجّه نحو الله تعالى،

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٩ و١٠.

لأنه في هذه الحالة سوف تشتد المكانة والسيطرة الشيطانية والمؤامرات النفسانية والشهوانية عليه. عندما وصل نبيّ الله يوسف عليه السلام إلى الحكم قال: ﴿...تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1]. إن الأضرار التي قد تصيب الإنسان جرّاء اتباعه هوى نفسه، هي أشدّ بكثير من الأضرار والخسائر التي تلحق به جرّاء الحوادث الطبيعية، كالزلازل والطوفان وغيرها.

يقول الإمام الخامنئي في أحد لقاءاته مع آية الله مصباح يزدي: «**هل تذكر مرّة عندما كنت رئيساً للجمهورية، قلت لك: إنني الآن بحاجة ماسّة إلى مساعدة معنوية أكثر من السابق، فإذا ذهبت إلى محضر آية الله بهجت بلّغته رسالتي ليساعدني، ومن بعدها وصلتني رسالتان ولا زلت أحتفظ بهما بحمد الله وشكره، كانت هذه المساعدات المعنوية مهمة لي جدّاً، والآن أيضاً أنا بحاجة ماسّة إلى المساعدات المعنوية**».

المهم في مجال السير والسلوك هو اتّباع أستاذ عارف يمتاز بالاستقامة والتقوى للاستفادة منه، حيث كان كل من الإمام روح الله الخميني رحمه الله والإمام الخامنئي يسعيان في هذا الطريق، وكان لهما ارتباط بعرفاء يتميّزون بالاستقامة والتقوى، وكانا يأخذان بإرشاداتهم ونصائحهم. فقد كان الإمام روح الله الخميني من تلامذة المرحوم (الشاه آبادي)، وهذا العالم كان من أساتذة الأخلاق المعروفين في الحوزة العلمية، حيث تركت محاضراته ودروسه أثراً إيجابياً على روحية العلماء ومحبي السير والسلوك.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

من الأمور التي نقلت عن الإمام الخامنئي، أنه كان على تواصل عميق بعرفاء وأولياء صالحين منذ نشأته، وبعد أن أصبح قائداً للمسلمين، كانت له علاقة وثيقة بآية الله الشيخ بهجت رحمه الله، حيث كانا يتناقلان الرسائل عبر الشيخ مصباح يزدي.

كما كان الإمام روح الله الخميني رحمه الله يعتقد بأنه ليس من مصلحة الفرد أن يصل إلى مقام أو منصب معين قبل أن يبدأ بتهذيب نفسه، لأنه إذا لم يهذّب نفسه فسوف يجرّ نفسه ويجرّ غيره إلى أسوأ العواقب.

كان تهذيبه رحمه الله لنفسه قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران جلياً وواضحاً يعرفه العام والخاص، فبعد أن وصل إلى مقام المرجعية والقيادة، لم يستطع هذا المقام إغراءه بالمطامع المادية والدنيوية.

جهاد النفس وآثاره

إنّ الشخص الذي يخوض غمار جهاد النفس، سوف يتّصف بصفات، كل واحدة منها سوف تضفي عليه جمالاً معنوياً، ويجد آثارها في حياته الاجتماعية. وهكذا فإن نتائج وآثار جهاد النفس لا تقتصر على الفرد نفسه فقط، وإنما تنعكس آثارها على المجتمع بل على الأمة بأسرها. وقد تكون كل صفة من هذه الصفات منشأ وسبباً لبروز صفة أخرى غيرها، ولا يخلو الأمر من التأثير والتأثّر المتقابل فيما بينها. إن أساس ومحور هذه الصفات يتمثّل في العبودية لله تعالى، حيث تعتبر رمز النجاح

والاستقامة، وتشكل أيضاً أساس بعثة الأنبياء؛ وهي الجامع المشترك بين الأديان السماوية ودعوة الرسل الإلهية البشرية إليها. وذلك أن الإنسان المهذب تكون إرادة الله تعالى محور حياته الشخصية والاجتماعية، بحيث لا يسمح للقوى الأخرى كالنفس أو الحزب أو الجماعة... بأن تكون هي المحور والأساس فيها.

إن عبودية الإنسان لله تعالى تتبلور في حياته الفردية والاجتماعية، وتتركّز في أداء واجباته الدينية، أي أن أساس حياته قائم على أداء الواجب، وترك المعاصي في جميع شؤونه.

كانت حياة الإمام روح الله الخميني ﵀ والإمام الخامنئي العامة والخاصة تتركّز على أداء الواجبات الملقاة على عاتقهما، فكانت كل أعمالهما تتّصف بهذه الصفات، فلم يكونا يرضيان بأقل من الإسلام وتطبيق الأحكام الإلهية والتمسك بها، وكان همّهما الوحيد أداء الواجبات، دون التفكير بالنتائج الدنيوية والسياسية، وهذا هو الذي نعبّر عنه بـ «التكليف».

إن هذا الجوهر هو منشأ لظهور ميزات وصفات مهمة في الحياة السياسية للفرد، من جملتها الشجاعة والتوكّل على الله تعالى وبساطة العيش والبصيرة واتّباع خط الولاية والحزم وعدم التنازل للعدو، وكذلك التضحية وتحمل المخاطر والإخلاص في العمل والتواضع والدعاء والتوسل ومعرفة الاعداء وأخيراً التقوى.

١ ـ الإخلاص:

قال الإمام عليّ عليه السلام: «إنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقيقةً، وما بَلَغَ عَبدٌ حقيقةَ الإخلاصِ حتّى لا يُحِبَّ أنْ يُحْمَدَ على شيءٍ مِن عَمَلٍ لله»(١).

من صفات المخلص

- تقديم مصلحة الإسلام والذوبان فيه.
- تنظيم حياته الفردية والاجتماعية على أساس أداء الواجب الإلهي.
- عدم ترجيح رضا الآخرين وغضبهم على رضا الله وغضبه.
- أن لا يكون الكرسي والمقام وسيلة لتحقيق منافعه الشخصية، بل أداة يستطيع من خلالها إجراء وتطبيق الأحكام الإسلامية.
- اهتمامه الجاد بترك الذنوب والمكروهات.
- الاهتمام بإتيان المستحبات فضلاً عن الواجبات.

وللإيضاح والتفصيل في ميدان العمل بجهاد النفس لا بدّ من العناية بالمرتكزات السلوكية التالية:

أ ـ تقديم مصلحة الإسلام والذوبان فيه

من سمات الإنسان المخلص ان يكون جلّ اهتمامه تطبيق

---

(١) محمد بن حسن فتّال نيشابوري، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، ج٢، ص٢١٢.

الأحكام الإسلامية، ومخالفته كل أنواع الإهمال أو الإهانة الموجهة إلى الأحكام الإلهية وإلى الإسلام ومصالحه.

ينقل السيد موسوي الأردبيلي أنه في يوم الثاني والعشرين من شهر بهمن عام ١٩٧٩م. عندما انتصرت الثورة الإسلامية واحتلّ الثوّار مبنى الإذاعة والتلفزيون، استغلّ المنافقون واليساريون الفرصة وسيطروا على برامج الإذاعة والتلفزيون، وبدأوا ببث برامجهم معلنين: هنا صوت شعب إيران، صوت ثورة إيران وشعبه، دعانا الإمام روح الله الخميني ﵀ وقال: **«اذهبوا مع مجموعة مسلّحة إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون، وحرّروه من سيطرتهم. يجب أن نعلن صوت الثورة الإسلامية وصوت الشعب المسلم الإيراني، وقال: إن قاوموا، اشتبكوا معهم ولو توصلت الأمور إلى المجابهة»**.

وعندما جاء وقت الاستفتاء العام لتعيين وانتخاب نوع النظام السياسي، أعلن الإمام روح الله الخميني ﵀ إصراره على إقامة حكومة إسلامية، وقال: **«إن رأيي هو تأسيس جمهورية إسلامية، وإنني سوف لن أتراجع عن هذا الرأي ولو وقف العالم كله ضدي، نحن نريد الإسلام فقط»**.

يقول السيد معاديخواه: أحضروا للإمام رسالة من رئيس وزراء الحكومة المؤقت آنذاك، وكانت خالية من البسملة (أي بسم الله الرحمن الرحيم)، طبعاً إنني لم أرَ الرسالة عن كثب، لكنّني عرفت ذلك من سياق الكلام، وكذلك جاء في الرسالة ذكر الثورة الإيرانية بدون ذكر الإسلامية، حينها مزّق الإمام الرسالة وقال: **«قولوا له إن فلاناً قد مزّق الرسالة»**، وأضاف:

«كم مرّة قلت لكم إن الثورة لم تحقق شيئاً في إيران بل الإسلام هو الذي حقق (الانتصار)».

ب ـ أصالة التكيّف في الحياة

إنّ من قام بالجهاد الأكبر سوف ينظم حياته الفردية والاجتماعية على أساس أداء الواجب الإلهي وإتيان المسؤولية الملقاة على عاتقه ولا يهمه مصالحه الشخصية أو الحزبية:

يقول الإمام الخامنئي: **«سألت الإمام روح الله الخميني يوماً وقلت له: متى بدأت بالتفكير في تأسيس حكومة وخططت لتحقّقها؟ قال ﷺ: لا أذكر بالضبط، إن أساس عملي كان أداء الواجب الشرعي الملقى على عاتقي. ومتى ما يتبيّن لي بأن أمراً ما واجب شرعي لا أتوانى عن أدائه وتحقيقه، فحيث يكون بمثابة تكليف إلهي يجب عليّ إنجازه».**

شهادة آية الله ناصري إمام جمعة مدينة يزد:

ـ في فترة من فترات المواجهة مع النظام البهلوي السابق، تمّ اعتقال ثلاثة من رجال الدين، وكان بينهم الشهيد محلاتي(رحمه الله)، وبعد أن قضوا أربعة أشهر في السجن ذهبوا لزيارة الإمام الخميني، فقال لهم: **«إن كان اعتقالكم من أجلي، فيجب عليكم أن تكفّوا عن المبارزة والجهاد، لأنني لا أملك شيئاً عند الحضرة الإلهية، وإن كان جهادكم ومبارزتكم من أجل كسب رضوان الله تعالى، فعليكم أن تستمروا في المقاومة وتثبتوا، لأننا ما زلنا في بداية الطريق».**

ـ زار عدد من التجار الإمام الخميني رحمه الله بعد حادثة (١٥ خرداد ١٩٦٣م)، وبعد أن شرح أحد الحاضرين مواقفهم ضد النظام الحاكم، أشار الإمام آنذاك إلى نقطة مهمة قائلاً: **«إنْ كان عملكم هذا من أجلي فأنتم خاطئون، وإن كان في سبيل الله فيجب أن تقاوموا لأنكم سوف تنتصرون»**.

ـ عندما كنّا في طريقنا إلى الكويت، توجّهنا إلى الإمام الخميني بالسؤال التالي: إذا رفضت الحكومة الكويتية السماح لنا بالدخول ماذا نفعل؟ قال: **«أينما نكون سوف نؤدّي واجبنا»**.

ـ ونحن في طريق العودة من باريس إلى طهران، أخذنا قلق شديد بينما كان وجه الإمام مطمئناً ونضراً، وعندما عزمنا على ركوب السيارة قلنا له: نحن قلقون جداً، لأن مسيرنا سوف يستغرق ساعات عديدة وسننتظر خلاله المرور عبر عدد من الدول الغربية. فأجابنا: **«نحن نؤدي واجبنا والنتيجة بيد الله (سبحانه وتعالى)»**، شعرنا حينئذٍ باستقرار وطمأنينة عندما سمعنا جوابه وأحسسنا بصبره ورباطة جأشه.

ـ قبل انتصار الثورة أوصلوا إلى الإمام الخميني رحمه الله الكثير من النداءات، من جملتها النداء الذي وجهه آية الله خوانساري بيد الحاج السيد مجتبى طهراني إلى الإمام قال له فيه: الآن وقد أصبحتَ مرجعاً، عليك أن تقلّل من كلامك، لكن الإمام أجاب حينها: **«أنَّ واجبي يملي عليَّ التكلم. أنا أجبتهم وقلت لهم بأن خطبي أقل بكثير عن خطب الرسول ﷺ والإمام عليّ عليه السلام»**.

ـ بعد نهاية يوم شاقّ من عام ١٩٦٣م وارتكاب أزلام الشاه جرائم شنيعة بحق الشعب، وجّه بعض طلاب العلوم الدينية إلى

الجنود بعض الشتائم والمسبّات نتيجة لما اقترفوه، فغضب الإمام ومنعهم وقال: **«لا تشتموا هؤلاء الجنود، لا أريد أن أقول لكم بأنهم ليسوا بسيّئين أو مذنبين، لكنني أعتقد أنّ للسان المؤمن حرمة، يجب أن لا تخرج منه ألفاظ بذيئة وشتائم»**.

ج ـ محورية رضى الله وغضبه

إذا كان هدف الإنسان التوصل إلى رضوان الله تعالى وأداء الواجبات الإلهية الملقاة على عاتقه فلا يهمه إرضاء الآخرين من الأحزاب والتنظيمات الدولية، وحتى لا يهمه ماذا سيكون موقف التاريخ منه، وما سيكتبه عنه. عندما تمّ عزل الشيخ المنتظري أشار الإمام روح الله الخميني ﵀ إلى عدد من النقاط المهمة قائلاً: **«إنّ المواقف المخالفة أو المؤيّدة للتاريخ والأحزاب والأشخاص والمنظمات الدولية، ليست بذات الأهمية، فإنني قد رأيت أنه من المناسب الإقدام على هذا الأمر، من أجل أداء الواجب الملقى على عاتقي، مهما كلّف الأمر»**.

لم يكن الإمام ليتوانى عن مجابهة أي حركة انحرافية ولو كانت نابعة من أقرب الناس إليه. في عهد رئاسة بني صدر للجمهورية ذهب السيد حسين الخميني (حفيد الإمام لنجله الشهيد مصطفى) إلى مشهد وخطب بالناس، وهدّد بالسلاح من يخالف ما قاله في خطابه، عندما وصل الخبر إلى الإمام أمر بأن يُرجعوا السيد حسين الخميني إلى طهران، ولو قاوم أطلقوا عليه الرصاص وإن أدّى الأمر إلى قتله. فبعد رجوعه إلى طهران،

أمره بالذهاب إلى قمّ لينشغل في تحصيل العلوم الدينية. بعبارة أخرى: لم يقم الإمام بتبرير ما فعله حفيده من الانحراف بسبب قرابته إليه.

بعض ما قاله آية الله كريمي في كون رضا الله وغضبه محوراً أساساً في حياة الإمام الخميني ﵀:

لقد جعل الإمام الخميني ﵀ الدين أساساً وملاكاً في جاذبيته للأفراد أو الابتعاد عنهم. كان يحاول أن يقترب من الأفراد أو يبتعد عنهم طبقاً لما يمليه عليه دينه، حيث كان يُعرض عن بعض الأشخاص وإن كانوا من المقرّبين أو الغرباء أو الأقارب أو طلاب العلوم الدينية أو مراجع التقليد وغيرهم.

عندما أدرك الإمام أن حكومة الطاغوت تخالف الأحكام والتعاليم الاسلامية، وتعمل ضد مصلحة المسلمين، اتّخذ موقفاً معارضاً ومخالفاً تجاهها، ولم يأخذ بالاعتبار ما قُدِّم له من النصائح والإرشادات لجهة مسايرة الشاه وجعل موقفه المعارض يقتصر على رئيس الوزراء والآخرين فقط.

عندما أراد أحد مراجع النجف الأشرف الرجوع إلى إيران طلب زيارة الإمام الخميني قبل سفره، لكن الإمام رفض لقاءه وعليالرغم من توسط الكثيرين أصرَّ الإمام على موقفه وقال:

«إنَّ هذا الشخص سبق وأن باع نفسه للشاه، ماذا يريد من وراء زيارتي في منزلي... ماذا يريد أن يقول لي؟ ألا يعرف رأيي وهدفي وفكري؟! إنه لم يستشرني أبداً، والآن عند ذهابه يريد أن يدنّس سمعتي».

عندما جاء أحد السادة العظام الموالين للشاه إلى النجف الأشرف بعد رجوعه من مكة المكرمة أراد أن يزور الإمام في النجف، لكن الإمام رفض هذه الزيارة ولم يوافق على لقائه وعندما أراد أحد الأخوة التوسّط قال الإمام: «**إنني أرى أن المصلحة الدينية تقتضي عدم رؤيته ولقائه. فبعد كل ما عمله في إيران، جاء ليُطهّر نفسه، إن أراد تطهير نفسه فليذهب ويَتُبْ إلى الله تعالى**».

د ـ الهدف من السلطة هو تطبيق القيم الإلهية

ليس هدف المخلص بلوغ المناصب الحكومية، وهي ليست مطلوبه الذاتي، ولا يبذل جهده في طريق الوصول إليها لأنه يرى أن هذه المسؤوليات هي أمانات إلهية تلقي على عاتق متوليها تكاليف وواجبات عليه أن يؤديها بكاملها، وليست امتيازاً وسبباً لتقدمه وترجيحه على الآخرين. ولذا فلا يهمه المقام والمناصب إلا إذا وجد أنّ تولّيه هذه المناصب والمقامات من واجباته ومصلحة الإسلام تقتضي ذلك فيقوم بتولّيه ويديرها بقوة. ثم إنه إذا تولّى المنصب الحكومي فلا ينظر إليه كأداة لتأمين مصالح شخصه أو عائلته أو حزبه... إلخ، فلا يكون الكرسي والمقام وسيلة لتحقيق منافعه الشخصية بل أداة يستطيع من خلالها إجراء وتطبيق الأحكام الإسلامية.

من هذا المنطلق لم يكن هدف الإمام روح الله الخميني رحمه الله وكذلك الإمام الخامنئي، الحصول على مقام ومنصب رفيع، سواء على مستوى المرجعية أم القيادة، ولم يخطّطا للوصول

إليه، وحتى خلال مبارزته للشاه، لم يكن يرغب في تبوّؤ الصدارة أو القيادة، حيث يُنقل عنه ﷺ، في الأيام الأولى من بداية النهضة الثورة، أنه كان وأحد المراجع في بيت المرحوم آية الله الحائري، وكان هذا المرجع من زملاء الإمام، ومن دورته الدراسية نفسها، وقد طلب الإمام منه أن يتصدّى للوضع وقال له: «**إنْ تصدَّيت للأمور سوف نتبعك جميعاً**». كان الإمام ينوي العمل بالواجب الإلهي الملقى على عاتقه ولم يكن الآخرون يملكون الجرأة الكافية لتدفعهم إلى خوض الميدان والتصدي للأمور وقيادة الأمة، كالإمام الخميني ﷺ. وبشكل طبيعي تصدّى الإمام روح الله الخميني لهذه النهضة، وبدأ بمواجهة النظام آنذاك متخذاً من الشعب سنداً وحامياً له.

ومن المتعارف عليه في الحوزات العلمية أنه عند وفاة مرجع التقليد، يقوم من تتوفر فيه شروط المرجعية بإقامة مجلس الفاتحة على روح المرحوم، وطباعة رسالته العملية وتوزيعها بصورة مجانية بين الناس، لكن بعد وفاة المرجع الشيعي المرحوم البروجردي، لم يقم الإمام مجلساً على روح السيد البروجردي، ولم يقم بطبع رسالته العملية وتوزيعها، لكن بعد إصرار أساتذة الحوزة العلمية ومقلّديه، سمح لدور النشر بنشر رسالته العملية بحيث لا تتحمّل الأموال الشرعية نفقة هذه الطباعة والتوزيع، وكان يقول: «**إذا أراد أحد اقتناء هذه الرسالة فيجب عليه شراؤها**». وهذا يعني أنه لم يوافق على توزيعها بصورة مجانية، يقول السيد توسلي (وهو من أعضاء مكتب الإمام): ذات يوم اقترح أحد الأصدقاء زيارة الإمام لعلّنا نتمكّن

من الحصول على موافقته لطباعة رسالته العملية. في الصباح الباكر لذلك اليوم وصلنا إلى بيت الإمام ودخلنا إلى قسم استقبال الضيوف، كان حينها جالساً على بساط، بدأ صديقي الكلام قائلاً للإمام بأن المجتمع بحاجة إلى وجودك؛ ولكثرة محبته وإيمانه بنهج الإمام ذكر هذا الصديق في حقه بعض العبارات فيها نوع من الغلو، أتذكّر حينها أن الإمام ﷺ احمرّ وجهه وقال: «**لا، ليس كذلك، إن الإسلام لا يُختزل بشخصي**».

والإمام الخامنئي أيضاً لم يقدم على إعلان مرجعيّته، ولحدّ الآن لم يسمح بطباعة رسالته العملية باللغة الفارسية ونشرها، ومع أن رسالته كانت تطابق المباني الفقهية للرسائل العملية لكنه لم يعط الموافقة على طباعتها ونشرها؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى منصب قيادة الأمة، فقد جاء بعد إصرار مجلس الخبراء، ومن دون رغبة منه، وفي مجلس الخبراء للقيادة الذي قام باختيار الإمام الخامنئي للقيادة اتفق الجميع على قيادته ولم يخالفه إلا سماحته وشخص آخر.

المنصب لم يكن يعني للإمام الخامنئي شيئاً، المهم عنده هو إتيان الواجب الملقى على عاتقه، وعندما انتهت مدّة رئاسته الجمهورية، طلب من الإمام روح الله الخميني فيها أن يسمح له بعدم ترشيح نفسه للدورة التالية، ليتفرّغ للخوض في مجال النشاطات الثقافية، كالتدريس في الحوزة العلمية، لكن الإمام روح الله الخميني ﷺ حينها قال له: «**إن الترشيح مفروضٌ عليك كواجب شرعي**».

ينقل الإمام الخامنئي قائلاً: «قبل وصول الإمام الخميني رحمه الله من باريس، كان هناك نقاش حول توزيع المسؤوليات وكنا نعرف أنه مع وصوله سوف تظهر المسؤوليات التي يجب أداؤها. حين اجتمعنا لتنظيم الأمر، حدَّدنا ساعة معينة في عصر أحد الأيام، وعندما حان موعد اللقاء، جلسنا في الغرفة لنبدأ بتوزيع المهام، فقلت حينها: إن مسؤوليتي هي توزيع الشاي، فتعجّب الجميع. وقالوا: ماذا تعني من صنع الشاي؟ قلت: نعم أنا أحسن صنع الشاي. لقد أضفى ذكري هذا الموضوع جواً خاصاً على اجتماعنا ذاك. وقلت: إنّ صنع الشاي من الممكن أن يكون كأي مهمة أخرى يذكرها الآخرون كتسلّم مكتب المراجعات مثلاً، يجب أن لا يخالف أحد أي مهمة، لأن هدفنا هو إدارة هذه المجموعة، وأداء المهام الملقاة على عاتقنا على أحسن وجه». وأضاف الإمام الخامنئي: «هكذا كانت معنوياتي. طبعاً كنت أعلم أنّ لا أحد سوف يرضى باقتراحي هذا، لكنني كنت جاداً في كلامي، لأنه لو اقتضى الأمر بتسلّمي مسؤولية توزيع الشاي، لشمّرت عن ساعدي وذهبت لتحضيره وتوزيعه، لأنني لم أذكر الاقتراح لمجرد الكلام، بل كنت مستعداً لتطبيقه والعمل به.

لقد ذكرت مراراً لأصدقائي ورفقائي ـ والكلام للإمام ـ، أنني لست من الأفراد الذين إذا دخلوا غرفة يقولون إن هذا الكرسي لنا، بل أنا أجلس على الكرسي الذي أجده خالياً، ولا أغضب إن وجدت أحداً جالساً عليه، إنني لا أملك مكاناً أو كرسياً خاصاً في أي غرفة، أنا عندما أدخل الغرفة أجلس على



المحل أو الكرسي الذي أجده خالياً، ولا أعارض إن أجلستني المجموعة على كرسي آخر تجده مناسباً لي، وإذا وجدت أن هذا العمل أو المكان هو المناسب لي، فسأتحمل مسؤوليته وأنجزه».

هـ ـ الاهتمام الجاد بترك الذنوب والمكروهات

يتحدث المقرّبون من الإمام روح الله الخميني ومن واكبه، حول التزامه بترك المحرمات وفي هذا الصدد يُنقل عن آية الله مظاهري قوله: قبل نفي الإمام إلى النجف، كان الإمام يدرّس في مسجد سلماسي، ذات يوم حضر الإمام لإلقاء الدرس، وكان مضطرباً وغير مرتاح، فلم يدرّسنا، بل بدأ بنصيحتنا وتحذيرنا من ارتكاب المعاصي ولا سيما الاستغابة وقال: **«سمعت وأنا في القسم الخارجي من بيتنا (وهو قسم خاص لاستقبال الضيوف والعلماء) أحد العلماء يقوم باستغابة أحد الناس، ولشدّة انزعاجي من هذا الموضوع، لم أستطع أمس الخلود إلى النوم، كيف يمكن لعالم دين أن يقوم باستغابة الآخرين»**؟!. لقد بقي الإمام مريضاً ثلاثة أيام لشدة انزعاجه.

يذكر حضرة الإمام عليّ الخامنئي خلال خطبه في صلاة الجمعة في طهران بعض الخواطر حول الصفات الأخلاقية للإمام الخميني ﷺ فيقول: **«أريد أن أذكر للشباب الأعزاء، الشباب الثوري والمؤمن والعاشق للإمام، أن يكون حذراً عندما يتكلم أو يكتب أو يقدم على أمر، يجب ألاّ تجبرنا الخلافات**

مع الآخرين على تغيير مواقفنا تجاههم أو ظلمهم بغير حق، يجب علينا أن لا نظلم أحداً».

وهنا أود أن أنقل بعض الخواطر عن الإمام ﵀: في إحدى الليالي وكنّا في محضره، سألته: ما رأيكم بفلان (لا أحب أن أذكر اسمه، لكنه حينها كان شخصاً معروفاً على صعيد العالم الإسلامي، وكان الجميع يعرفونه)، تأمّل الإمام ﵀ قليلاً وقال: لا أعرفه، وبعدها ذكر جملة في ذمّ هذا الشخص. وفي غداة ذلك اليوم أو بعد يومين، لا أذكر بالضبط، كان لديّ بعض الأعمال مع الإمام ﵀، فذهبت لرؤيته، لكنني وبمجرد أن دخلت إليه وجلست، وقبل أن أعرض على مسمعه ما كان لديّ من الأعمال، قال لي: حول ما سألتني عن ذلك الشخص أمس (أو أول أمس)، أريد أن أقول بأنني لا أعرفه؛ أي أن الإمام قد محا تلك الجملة التي ذكرها بحقه.

لاحظوا هذا الموقف، إنه موقف مهم جداً، إن الجملة التي قالها الإمام ﵀ ما كانت من الشتائم أو التهم، من حسن الحظ أنني نسيتها كلياً، وسبب نسياني إمّا لضعف ذاكرتي، أو طريقة الإمام المعنوية في ذكرها، لا أذكر الجملة، لكن الذي أذكره أن الجملة كانت في ذمّ الشخص، لكنه بعد يوم أو يومين محا هذه الجملة وأزالها بكلمة (لا أعرف ذلك الشخص).

لم يكن الإمام الخميني ﵀ يسعى لترك المحرمات فقط، بل كان يحاول الابتعاد عن المكروهات أيضاً. ينقل آية الله يزدي أنه مرض يوماً أحد العلماء، فقرر الإمام أن يذهب لزيارته، وطلب مني مرافقته ليستهدي إلى بيت هذا العالم، ففي ذلك

اليوم كان الجو ماطراً، وكان الزقاق المؤدي إلى بيت العالم ترابياً، وبسبب المطر الشديد امتلأت الطريق وحلاً، وكان هناك مسجد يقع بين الشارع وبين بيت ذلك العالم، فقررت أن أختصر الطريق عبر المرور من باحة المسجد، فعندما أردنا الدخول إلى المسجد سألني الإمام قائلاً: ألا يوجد طريق خاص يؤدي إليالبيت، فقلت له: بلى، لكنني أريد أن أختصر الطريق عبر باحة المسجد، لئلا تمتلئ ثيابك وحلاً. فامتنع الإمام حينها وقال: «**إنّ اتخاذ المسجد طريقاً للعبور مكروه**»، ولم يكن مستعداً لارتكاب المكروه.

و ـ الاهتمام بالمستحبات فضلاً عن الواجبات

نقل عن أحد المقرّبين من الإمام ﷺ أنه كان دائم الذكر، ولكي لا يشعر الآخرون بأنه في حالة الذكر والدعاء انتخب عبارة (لا إله إلا الله) وكان يكرّرها دائماً.

وجاء عن الإمام الخامنئي في ذكر الإمام ودعائه: «**لم يترك الإمام الذكر والدعاء والصلاة حتى آخر لحظات حياته. فقبل وفاته كان دائم الذكر والدعاء، بعد أن انتهى من صلاة الظهر والعصر، وحتى عندما كان فاقداً الوعي قبل وفاته كان يكرر هذه العبارة (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر). وكان وجه الإمام يزداد نوراً وبهاءً بعد مرور كل شهر من رمضان الكريم**».

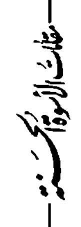
يقول نجله المرحوم السيد أحمد الخميني ﷺ: كان الإمام ﷺ يأنس كثيراً بقراءة كتاب مفاتيح الجنان، إلى درجة



كان الكتاب معرّضاً للتمزق كل عدّة أشهر لكثرة استعماله، لذلك كنّا نضطر إلى ترميمه وأحياناً إلى جلب نسخة أخرى له.

٢ ـ الشجاعة والحزم

الشجاعة هي صفة من الصفات الكمالية والجمالية. ومن يمتلكها فلا يخاف من الأمر الذي يخاف منه فاقد الشجاعة. نقيض الشجاعة الجبن والذلّ والخنوع. أما الخوف فترجع جذوره إلى فقدان الخائف الشيء الذي يحبه ويخشى فقدانه من دون أن يتوفّر له أيّ بديل مماثل لذاك الشيء في القدر والمنزلة أو أي بديل أكثر فضلاً وقدراً منه. من باب المثال نشير إلى أن الشخص غير المهيّأ للجهاد الأكبر يخاف الموت وسوف يكره كل شيء يسبب موته. حتى ولو كان الجهاد ضد الأعداء والكفار... إلخ، (وذلك لأن في الجهاد والقتال الاستعداد والأرضية لموت الإنسان ولذا يكرهه ويخاف منه). وهو خائف عند الموت لأنه بسببه يفقد حياته الدنيوية التي هي حياة مطلوبة ومحبوبة عنده. ولكن من جهة أخرى إذا أدرك الشخص أنه مقابل فقدان الحيوة الدنيوية فسوف يكتسب بديلاً هو أفضل وأكثر قدراً من هذه الحيوة الدنيوية فإنه لن يخاف من الموت لأنه بذلك لا يفتقد شيئاً. بل الأمر هنا مثل التجارة والبيع والشراء فإنّ كلاً من البائع والمشتري يفقدان شيئاً ولكن بالمقابل يكتسبان شيئاً يوازي المفقود أو يعلوه قدراً ومنزلة.



ميزة الدين أنه يعطي للإنسان الملتزم التصوّر الواقعي والحقيقي. وكما يُزوِّدُه برؤية ونظرة جديدة إلى الحياة المادية

والدنيوية. يقول له إن الموت ليس فناءً أو فقداناً، وإنما بالموت أيها الناس تنتقلون من دار إلى دار آخر، كما ينتقل الطفل من عالم الرحم إلى عالم الدنيا. الطفل عندما يكون في رحم أمه لا يريد أن يغادره، ولذا فإن أول شيء يقوم به هو البكاء وإظهار كراهة الانتقال. ولكن عندما يكبر ذلك الطفل، يفهم ويدرك أن قدر عالم الدنيا لا يقاس بقدر عالم الرحم. عندما يقوم الشخص بالجهاد الأكبر وقد صار عبداً لله (تبارك وتعالى) فإن الهدف الرئيسي في حياته الفردية والاجتماعية، وفي جميع شؤونه والأعمال التي يقوم بها، هو أداء التكليف الذي جُعل على عاتقه ولا يريد جزاءً ولا شكوراً وإنما أتى به لوجه الله لأنه هو خير وأبقى فلا يهاب الموت. ومن لا يهاب الموت لا تستطيع أي قوة أخرى أن تخيفه أو أن تلقي الرعب في قلبه؛ بل على العكس فقد يخافه الناس ويهابونه لأنّ قوته ومهابته جاءت من الشجاعة التي وهبه إياها الحق تعالى، لذا قال المعصوم ﷺ: **«من خاف الله خاف منه كل شيء، ومن لا يخاف الله خاف من كل شيء».**

ولذا فإن من يكون عبداً لله يقوم بأداء واجبه والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، وبالتالي لا يحول دون وصوله إلى هذا الهدف أي قوة وأية سلطة. المهم عنده الإتيان بواجبه ولو لم يَرُقْ هذا العمل إلى قوى الاستكبار والقوى المتغطرسة أو إلى أصدقائه وأقربائه أو... إلخ.

على هذا الأساس فإن من طبيعة هذا الشخص أن يكون دائماً حراً وسيداً وليس بأسير. صحيحٌ أنه يمكن أن يكون سجيناً

بيد الطاغوت. ولكن مع كونه مسجوناً يكون حراً وسيداً فلا يخاف ولا يهاب السلطة الجائرة المسيطرة عليه.

وكانت هذه الصفة واضحة وجلية عند كل من الإمام الخميني ﷺ والإمام الخامنئي فإنهما واجَها الاستكبار العالمي، بحزم وثبات، لم تُخِفْهما قدرة العدو وهيبته ولم يتنازلا للأعداء أبداً؛ بل كانا كالجبل الأصم في مواجهة المشاكل والضغوطات، إن جملة الإمام القائلة: **«والله لم أخف في حياتي أبداً»** تدل على أسطورية وشجاعة رجل يفتخر التاريخ بوجوده، إن الشجاعة التي غرسها الإمام في نفوس المسلمين وبقية الشعوب الأخرى، استطاعت بالفعل أن تكسر هيبة القوى الكبرى.

يروي آية الله كريمي في شجاعة الإمام الخميني ﷺ وحزمه، فيقول:

كان أعضاء من مجلس قيادة الثورة البعثي في العراق يقصدون النجف الأشرف والإمام الخميني ﷺ لأهداف وأغراض معينة، لأنهم كانوا يظنون بأنهم قادرون على التوصل إلى ما يطلبونه من الإمام بسبب نفيه من قبل نظام الشاه وأسره في بلادهم. أذكر أنه عندما كانت هناك اشتباكات بين إيران والعراق في منطقة كردستان حول تابعية نهر الوندرود، طلب الوفد العراقي حينها من الإمام أن يتخذ موقفاً معارضاً ضد الشاه لصالح العراق، لكن الإمام واجه هذا الموقف وهذا الطلب بشكل مميز وقال لهم: **«خسئ الشاه وخسئتم»**. وقال: **«إن بلدين مسلمين وجارين يتنازعان فيما بينهما، بدلاً من الاهتمام**

بمصلحة شعبيهما وضمان متطلباته، لماذا يتنازع هذان البلدان؟ كلاهما على خطأ، وما يهمنا لمن يكون نهر الوندرود، لإيران أم للعراق، إن نهر الوندرود يقع على طرفي بلدين مسلمين، إنه يطل من جهة على إيران ومن جهة أخرى على العراق، فلماذا يتنازعان؟ اذهبوا وهذّبوا أنفسكم».

حين سمع أعضاء المجلس موقف الإمام تعجبوا وارتبكوا كثيراً، ولم يكونوا يتوقعون منه مثل هذا الموقف تجاه رؤساء المجلس وقادته لكونه مبعداً من قبل النظام الشاهنشاهي وأسيراً لدى القوى الصدامية البعثية. ومن بعدها قال رئيس جهاز المخابرات في العراق: «من هذا السيد الذي أجابنا بهذه الحدّة؟ سوف نُخرجه» وعندما وصل هذا الخبر إلى مسامع الإمام قال: **«هل تعتقدون بأنني أشعر بالراحة هنا؟ وهل أشعر بالراحة وأنا عندكم؟ خذوا جواز سفري واختموه. وأرسلوني إلى أي مكان شئتم ومن تكونون أنتم لأبقى من أجلكم»؟!.**

يضيف آية الله كريمي في مناسبة أخرى أنه في إحدى السنوات صمّم حزب البعث في العراق على أن يمنع إقامة مجالس العزاء، فجاء أعضاء من مجلس قيادة الثورة التابع لنظام صدام، عند الإمام الخميني ﵀ من أجل الحصول على موافقته وتأييده لهذا القرار. من عادة الإمام أنه عندما كان يرى المسؤولين العراقيين لم يكن يتحدث معهم أو يقوم إجلالاً لهم، فعندما طلبوا منه ما جاؤوا من أجله قال: **«في جوار بلدكم بلد يدعى إيران كان يحكمه حاكم يدعى رضا خان، عندما رحل هذا الحاكم،** احتفل الناس وفرحوا لرحيله بغضّ النظر عن

الحاكم البديل، فرحهم كان لرحيل الحاكم وهروبه فقط، لذلك يجب عليكم أن تخافوا من حلول يوم كهذا، إنّ كرسي الرئاسة الذي حصلتم عليه لم يكن لكم سابقاً، وليس باقياً لكم، لأنه إن كان باقياً لكم لبقي لغيركم ولَمَا حصلتم عليه، يجب عليكم أن تحذروا وتخافوا من حلول الوقت الذي تُعزلون فيه عن الرئاسة والحكم، حينها سوف يفرح الناس ويحتفلون لعزلكم ورحيلكم، إن كنتم تريدون أن تحكموا البلاد، فما شأنكم بمواكب سيد الشهداء وعزائه، وما علاقته بحكومتكم، أنتم لستم على شيء، أنتم متوحشون».

عندما كنت أترجم ما يقوله الإمام ﷺ بدقّة كان أعضاء الوفد مطأطئي الرؤوس وكانت علائم الغضب والامتعاض تبدو على وجوههم وتتزايد شيئاً فشيئاً، وعندما انتهى الإمام من كلامه ذهبوا ولم يقولوا شيئاً. وفي اليوم التالي وقبل شروع درس السيد الخوئي ﷺ قال لي أحد أصدقائي من أبناء المرحوم السيد الحكيم ﷺ والذي استشهد بعد ذلك على يد صدام وأزلامه: ما هذا التصرف الذي صدر عن الإمام الخميني تجاه أعضاء مجلس قيادة الثورة، إذا قرر صدّام أن يرسل ثلاثين دبابة لهدم النجف، وتحويلها إلى كومة تراب، فمن الذي سيواجهه؟!

حينها أجبته قائلاً: إنّ صدّاماً يعرف الإمام الخميني ويعلم أين بيته، فلو قرَّر أن يفعل ما قلته، لأرسل دبابة واحدة وهدم له بيته. وإذا كان على الإمام أن يتخذ الحذر من صدّام فكان عليه أن يتّخذه تجاه الشاه أولاً، إنّه عندما يريد أن يتخذ موقفاً ما، لا

يستأذن أحداً لأنه يطبق أوامر الله (سبحانه وتعالى) فقط. هذا هو الإمام وهذه هي روحيّته.

كونوا أقوياء وتوكّلوا على الله

يقول الإمام الخامنئي: ذهبت مع الشيخ هاشمي رفسنجاني وشخص آخر إلى الإمام الخميني في قمّ، لنسأله عما يجب أن نفعل بالجواسيس الأمريكان الذين تمّ القبض عليهم، هل نحتفظ بهم أم لا؟ حيث كانت الأوضاع في بداية انتصار الثورة وفي عهد الحكومة المؤقّتة برئاسة المهندس بازركان غير مستقرة، وكان هناك تساؤلات ونقاشات حول مصير هؤلاء الجواسيس. عند وصولنا عند الإمام، وضع الزملاء الإمام في صورة الوضع وما تقوله الإذاعات والحكومة الأميركية وبعض مسؤولي الدولة.. فكّر الإمام ملياً ثم سألنا: «هل تخافون من أميركا»؟ قلنا: «لا». قال: **«إذن احتفظوا بهم».**

إن عدم خوفه من القدرة المادية التي كانت تمتلكها أميركا، كان بسبب وعيه واقتداره الشخصي، أي إن عدم خوفه كان ناشئاً من الوعي لا من الجهل والغفلة. لأن الطفل يمكن ألا يخاف الإنسان القوي أو الحيوان المفترس، وكذلك الأمر عند الشجاع.

إن جملة الإمام القائلة: **«إنّ الدفاع عن الإسلام والنظام ليس مزحة، ولا يوجد بيني وبين أحد منهم عقد أخوة»**، تدلّ على عدم خضوع الإمام واستسلامه. يقول الإمام الخامنئي: **«عندما تعرّض الإمام الخميني إلى أزمة قلبية، قلقنا جداً،**

وعندما ذهبنا لزيارته وهو في تلك الحالة بدأ بنصيحتنا بالثبات على الطريق وقال لنا: كونوا أقوياء، ولا تضعفوا، وتوكّلوا على الله، كونوا أشدّاء على الكفّار ورحماء بينكم، ويجب أن تكونوا متكاتفين وإذا كنتم هكذا فلا أحد يستطيع أن يلحق بكم الضرر».

قبل عدّة سنين من انتهاء الحرب المفروضة على إيران، أعلنت أميركا أنها سوف ترسل أساطيلها الحربية إلى المنطقة، ولم تكن تخفي هدفها المتمثّل في الدفاع عن جيش صدّام العاجز لمجابهة إيران. وبعد هذا الحدث ذهب عدد من مسؤولي إدارة الحرب لرؤية الإمام الخميني ﷺ وإطلاعه على الأوضاع الميدانية للحرب، من أجل الأخذ بنصائحه والاستفادة من إرشاداته القيّمة، حينها فقال الإمام: **«إذا رجع الأمر لي، فإنني سوف أضرب أول أسطول أميركي يدخل الخليج الفارسي، سأوجّه صاروخاً في اتجاهه وأغرقه».**

وأمثال هذه المواقف نجدها عند الإمام الخامنئي أيضاً، منها: أمره بعد مؤتمر لندن باستئناف نشاطات وصنع (UCF) في أصفهان، حيث إن العدو كان ينتهز الفرصة ليحرم إيران من التكنولوجيا النووية السلمية، وكذلك طلبه استئناف النشاطات النووية المتوقفة وتفعيلها، وعدم اهتمامه بتهديدات أمريكا وحلفائها المتكررة. ومع الأسف الشديد استطاعت هذه التهديدات أن تسبب فقدان الثقة بالنفس عند بعض المسؤولين، وتخلق مواقف أخرى يطول ذكرها.

في عام ١٩٦٣م، بعد خطاب الإمام روح الله الخميني ﷺ الذي وجّهه ضدّ الشاه هاجم أفراد الاستخبارات التابعون للنظام

الشاهنشاهي بيت الإمام عند منتصف الليل وقبضوا عليه، وأخذوه إلى طهران، ينقل الإمام قائلاً: **«في طريقنا نحو طهران كنت جالساً على المقعد الخلفي للسيارة وكان يجلس عن يميني وشمالي رجلان برتبة ضابط، أما على المقعد الأمامي فكان يجلس فردان آخران برتبة جنرال، حينها أحسست بارتعاش الرجلين اللّذين كانا يجلسان بجانبي، فقلت لهما: أنا أسيركم وسجينكم، لماذا تخافان؟ وقال أيضاً: أقسم بالله لم أحسّ بالخوف ولو للحظة»**.

وعندما جرى إبعاد الإمام ونفيه إلى تركيا وبتنسيق مع النظام الشاهنشاهي، حاولت الحكومة التركية إدخال الخوف والذعر إلى قلبه، فأخذته إلى قبور العلماء الذين استشهدوا بسبب مناهضتهم وجهادهم ضد الحكومة العلمانية التركية، حيث كانوا يهدفون بهذا إبلاغ الإمام «بأن مصيرك سوف يكون مثلهم»، لكن الإمام أجابهم قائلاً: **«أتمنى لو كان لنا مقبرة مثل هذه في إيران، تجمع قبور العلماء الذين جاهدوا ضد النظام الطاغوتي، وأكون أنا بينهم وواحداً منهم، لتكون زيارتنا دعماً معنوياً للمناهضين والمجاهدين وتشجّعهم على استمرار المقاومة»**.

٣ ـ البصيرة والفطنة والفراسة

تعتبر البصيرة وتمييز الحق عن الباطل، ومعرفة الصحيح من الخطأ، من أهم عوامل وسبل نجاة الإنسان وخلاصه، يقول الإمام علي عليه السلام: «فقدُ البصر أهون من فقدِ البصيرة».

التاريخ ويضمّ أسماء عدد كبير من الأفراد الذين وجّهوا

ضربة ضد الإسلام والشريعة الإسلامية، وكانوا يعتقدون بأن هدفهم المصلحة العامة والتقرّب إلى الله تعالى، أمثال خوارج نهروان وبعض أتباع الوهابية. إنّ من شروط نجاح القائد: الاتصاف بالبصيرة والفراسة والقدرة على تمييز الحق من الباطل واتخاذ القرار المناسب.

ذكروا لكلمة البصيرة عدة معان منها: الإيمان، التصديق القلبي، المعرفة، اليقين والفطنة[1].

أما المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة فهو «قدرة قلبية تستلهم نورها من أنوار الفيوضات القدسية، بحيث تجعل صاحبها قادراً على إدراك ورؤية حقائق الأشياء والأمور كرؤية العين المجرّدة لظواهر الأمور الخارجية».

وإذا ما دقّقنا في المصطلحين:

١ ـ البصر (النظر).

٢ ـ البصيرة (وعي وقوة إدراك).

فسنجد أن المصطلحين مشتقان من مادة فعلية واحدة، لكنهما يدلّان على مفهومين مختلفين كما ذكرنا سابقاً.

فيما يلي نشير إلى موردين من موارد اختلافهما:

ـ البصر هو النظر والنور الظاهري المادي، الذي يساعد الإنسان على رؤية الأشياء. فالشمس والقمر والمصباح وسائل لا دور لها في هذا المجال سوى مساعدة الإنسان على رؤية

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤١٨.

الأشياء من خلال نورها المنعكس عليها. فإذا كان الإنسان أصمَّ، أو كان يعاني من تخلّف أو نقص في حاسة من حواسه الخمس، فإنه لا يستطيع أن يدرك نور الشمس والقمر وما شابههما. أما النور الداخلي فهو يستطيع أن يتغلب به على جميع أنواع النواقص والاحتياجات الباطنية والمعنوية للإنسان، ويضمد جراحاته الناتجة من عجزه وعدم قدرته.

عندما يتجلّى النور الباطني في النفس الإنسانية، يجعل الإنسان قادراً على مشاهدة المواقف والمشاهد المشرّفة في اليقظة والمنام، وعلى سماع الترانيم والأنغام الجميلة، واستشمام روائح العطر الزكية، وإدراك الكثير من لطائف الأمور[1].

للإنسان جانبان، جانب ظاهري مُلكي، وجانب مَلكوتي

إن الله (سبحانه وتعالى) وهب البصر، وأعطاه للإنسان ليستطيع هذا الأخير مشاهدة الأشياء والأمور التي تتراءى له على امتداد بُعدها المادي الخارجي، ووهبه قدرة وقوة نورانية أودعها في أعماقه ليستطيع من خلالها وبمعونتها رؤية وإدراك بواطن الأمور والأشياء، وهذه القدرة تسمى البصيرة. وإن لم تخرج هذه القدرة أو القابلية من نطاق القوة إلى الفعل، فلن يتمكّن صاحبها من إدراك حقائق الأمور وبواطنها، ويقال

(١) آية الله جوادي الآملي، تفسير تسنيم، ج١٣، ص١٢٣.

للشخص الذي يمتلك قدرة الإدراك هذه: البصير. وهي من الصفات المشبّهة بالفعل وتدلّ على الاستمرارية والدوام.

ولإثبات ما ذكرناه سابقاً، يمكننا الإشارة إلى وجود مصطلح البصير في صفات الله (سبحانه وتعالى) وأسمائه الحسنى، حيث ذكر القرآن الكريم هذا المصطلح وبهذا الوصف (٤٢) مرة.

ما هي البصيرة وكيف يمكن إدراكها؟

للبصيرة ثلاثة عناصر أساسية، ويمكن القول إنها عبارة عن مثلث ذي ثلاثة أضلاع:

العنصر الأول: أمرٌ إلهيٌّ هو عبارةٌ عن ذكاءٍ وحِنكَة خاصة، حيث تشير التجربة والروايات أيضاً إلى الله (سبحانه وتعالى) قد أنعم على بعض البشر حنكة خاصة وميَّزهم بها. ويبيِّن علماء النفس أن الذكاء والوعي على عدة أنواع: ذكاء متحمس، وذكاء اجتماعي، وذكاء ارتباطي، وذكاء علمي.. إلخ، قد يمتلك الفرد الذكاء في مجال معين دون بقية المجالات الأخرى.

أما البصيرة فهي بحاجة إلى وعي وذكاء اجتماعي، لأن فهم القضايا الاجتماعية بحاجة إلى إدراك وفهم خاصين، إذ يمكن أن يمتلك الفرد ذكاءً علمياً بارزاً، ويتخطى مراتب علميه رفيعة، لكن فهمه لبعض القضايا الاجتماعية لا يخلو من ضعف وسذاجة.

أما العنصران الآخران فيمكن اعتبارهما كعنصرين

اكتسابيين؛ فإذا كان الإنسان مؤهلاً لأن يحظى بالبصيرة الإلهية، فإنه يستطيع أن ينالها إذا ما أقدم على أمرين مهمّين هما:

الأمر الأول: مضاعفة المعلومات الدينية، والتعرّف على كل ما يتعلق بالدين والمعتقد؛ لأن من مستلزمات البصيرة عدم الانخداع بمكائد الآخرين، والتي من جملتها حرف أفكار الآخرين عن الحكم الديني وبيان الواجبات الدينية بنحو آخر، فمثلاً يقولون إن الآية القرآنية أو الحديث أو القول الفلاني يقول كذا وكذا، ألم تسمعوا بهذا؟!. فالذين شهروا سيوفهم بوجه الإمام علي عليه السلام، استندوا إلى الآية القرآنية ﴿...إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ...﴾[1] وقالوا له: أنت كافر لأنك عملت خلاف ما جاء في القرآن الكريم.

إذن، من طرق الصراع والمكيدة، الاستناد إلى القرآن الكريم، لذلك فمن لم تكن عنده المعرفة الكافية بالقرآن الكريم، أو الأحاديث الشريفة وكانت معلوماته ضئيلة في هذا المجال، يكون عرضة للانزلاق والانحراف أكثر من غيره.

وهكذا فإن من مظاهر خداع الإنسان وانحرافه، عن جادة الصواب، الظهور بلباس التقوى والالتزام والخدعة والحيل الشرعية، والاستفادة غير الصحيحة من آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، لذا على الإنسان أن يميّز الطريق الصائب والصحيح ويعرف ما هو الحلال والحرام، وأي نوع من الاستغابة جائز، وأي نوع حرام، بالإضافة إلى الأمور الأخرى

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

المتعلقة بالدين. إذن فمتى كانت معرفة الإنسان بدينه ضئيلة يكون عرضة للانخداع أكثر من غيره.

الأمر الثاني: يتمثّل في تمييز المصاديق، لأن معرفة الأحكام الكلية لتشخيص وتمييز المصاديق الواقعية أمرٌ غير كافٍ، وعليه يجب أن تكون بصيرتنا قادرة أيضاً على تمييز هذه المصاديق. ومن أهم الطرق للتوصل إلى هذا الهدف هي دراسة القضايا التاريخية، ولاسيما تاريخ صدر الإسلام.

مراتب البصيرة:

لمفهوم البصيرة مراتب ودرجات كسائر المفاهيم التي تطلق على القيم الأخرى، كالتقوى مثلاً؛ إذ للتقوى مراتب عديدة، فهناك تقوى الأئمة المعصومين ﷺ، ويليها ما دونها من المراتب. فمن لم يقدم على ارتكاب المعاصي والمكروهات طوال حياته يحظى بدرجة رفيعة من التقوى. ومن يجهد نفسه لكي يمنعها عن ارتكاب الكبائر يحظى بدرجة أخرى من التقوى، وبين هاتين المرتبتين عدة مراتب ودرجات للتقوى، لذلك يجب علينا أن نقطع هذا الطريق ونسير نحو إدراك المراتب العليا منها، وأن نسعى لننال أعلى درجات البصيرة دون الاكتفاء بالقليل منها. فمن كان له في المجتمع مسؤولية كبيرة ودور بارز وتأثير جليّ على الآخرين وجب عليه مضاعفة جهوده ليصل إلى أعلى درجات ومنازل البصيرة، وأمّا من كان حظه من البصيرة والفطنة يسيراً، فيستطيع أن ينجو بنفسه عن طريق إطاعة ولاية الفقيه واتباعها، لأن إطاعة من هو أشبه بالمعصوم ﷺ

في زمن غيبة المعصوم عليه السلام يدفع عنه مغبّات الجهل بحقائق الأمور وعدم القدرة على تحليلها وتفسيرها. وأيضاً الإيمان بأن إطاعة الوليّ الفقيه هي بمثابة إطاعة الإمام المعصوم عليه السلام يبعد عن الفرد الكثير من المخاطر والشبهات.

أما من يريد أن يتعهد المسؤوليات العظمى ويتحمل أعباءها، فيصعب عليه متابعة جزئيات الأمور الصادرة عن ولاية الفقيه، لذلك يترتَّب عليه السعي من أجل الحصول على بصيرة كافية لمعرفة حقائق الأمور. فمن كان أقرب من قمة الهرم، تكون مسؤوليته أشقّ وأصعب، وعليه أن يحظى بدرجات عالية من البصيرة والتقوى، وهكذا حتى الوصول إلى قاعدة الهرم من الذين يملكون الحد الأدنى من البصيرة، لذلك على كل فرد أن يسعى لمعرفة الوليّ الفقيه وكيف يجب عليه أن يطيع.

مواضع احتياج العالم إلى البصيرة:

١ ـ البصيرة تجاه مسؤولياته والواجبات الملقاة على عاتقه:

النقطة الأساسية المهمة في البصيرة، هي أن يكون الإنسان عارفاً بواجباته والمسؤوليات الملقاة على عاتقه خلال حياته. إن معرفة الواجب هي بمثابة تشخيص المرض، وبما أن تشخيص المرض هو نصف العلاج، لذا تكون البصيرة والفطنة تجاه الواجب ومعرفته بمثابة قطع نصف الطريق المؤدي إلى الهدف المتمثّل في إنجاز الواجب وأدائه، لأن البعض قد يكون مستعداً لأداء الواجب بسبب تمسكه بالدين والشرع الإلهي، لكنه قد

يُشكِل عليه الأمر في «مَن يُخاطب هذا الواجب، وعلى عاتق مَن يقع هذا الواجب». وهنا قد يحصل التخلي عن أداء الواجبات والانحراف عن جادة الطريق الصحيح. وبهذا المعنى فإن عدم معرفة الواجب هو أمرٌ ناتج عن غياب البصيرة واليقين، لأن البعض قد يجهل واجباته ومسؤولياته خلال تغيير الأوضاع والظروف القائمة.

٢ ـ البصيرة والفطنة تجاه الأمور التي تهدد الدين:

إن أهم المشاكل التي تواجه المسلمين والمتدينين على وجه الخصوص هي: عدم الصلابة والجدِّية تجاه التهديدات والمخاطر التي تواجه الدين وتعاليمه السماوية، وإهمالهم للأكاذيب والبدع الدينية، وغضّ الطرف عنها بسهولة.

أما الأمور التي تستولد البصيرة في المجتمع فيمكن إيرادها على النحو التالي:

أولاً: التقوى: تعتبر كلمة «الفرقان» من المصطلحات القريبة من معنى البصيرة، لأن الفرقان يعني القدرة على تمييز وتشخيص الحق عن الباطل حيث يعتبر القرآن الكريم الفرقان من نتائج التقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا...﴾[1]، ﴿...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ...﴾[2] و﴿...وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٢.

ثانياً: ذكر الله (سبحانه وتعالى): إن الذكر باللسان والقلب والعمل ينوّر قلوب الذاكرين ويضفي عليها البصيرة، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام، «مَنْ ذكر الله استبصر».

ثالثاً: العبادة والعبودية الخالصة: بما أن الوجود الرباني والإلهي نورٌ إلهي محض، فلا بدّ وأن تستلهم النفس الإنسانية فكرها المادي، نوراً وبصيرة عن طريق الارتباط به واللجوء إليه.

رابعاً: التوبة والرجوع إلى الله: مهما صال الإنسان وجال في هذه الحياة، ورغم كل ما يقع فيه من أخطاء ويرتكب من ذنوب، لا بدّ له نم توبة نصوح يعود معها إلى صوابه، ويتوب إلى ربه لعلّه يغفر له ويتوب عليه.

خامساً: التدبّر والتأمل في التاريخ: إن مطالعة الأحداث اليومية والتأمل والتدّبر فيها ومطابقتها مع وقائع التاريخ الماضية، تزيد من بصيرة الإنسان وتنميها، لأن مقارنة ما يقع من الأحداث والتطورات بالوقائع التاريخية الماضية هي طريقة فضلى للتوصل إلى إدراك حقائق الأمور كما في قول الإمام علي عليه السلام: «فإنما البصيرة من سمع فتفكر ونظر فأبصر وانتفع بالعبر ثم سلك طريقاً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي»[1].

سادساً: مجالسة العلماء واستشارتهم: يقول الإمام علي عليه السلام: «جاوِر العلماء تستبصر»؛ فالمرء يتأثر بمن يعاشر.

سابعاً: الإخلاص: قال الإمام علي عليه السلام: «عند تحقق

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٥٣.

الإخلاص تستنير البصائر»[1]؛ لأن الإخلاص ينعكس على القلوب فيجعلها صافية، كما يؤثر في العقول فيجعلها بصيرة واعية.

وإن الإمام روح الله الخميني ﵀ والإمام الخامنئي كانا يتمتعان بفطنة وبصيرة قويتين، لذلك لم يستطع أحد من الأعداء التأثير عليهما وإخراجهما عن جادة الصواب. كانا يعرفان ويميّزان بين الصديق والعدو، وكانا يدركان جزئيات الأمور في المواضيع السياسية والاجتماعية التي يعجز غيرهم عن دركها، وهناك العديد من المواقف التي تؤيّد ما أشرنا إليه، منها: ما يذكره الإمام الخامنئي أنه: في النصف الثاني من عام ١٩٦٢م، ونتيجة لبعض مواقف الحكومة آنذاك، تجلّت أبعاد أخرى في شخصية الإمام روح الله الخميني ﵀، منها الفطنة ودقّة الفهم والغيرة على الدين. في تلك الآونة سمع الكثير حول مصادقة الدولة على قانون المقاطعات والولايات في بداية العام ١٩٦٢ فعارض الإمام ومراجع الدين الآخرون قانون حذف شرط الإسلام والقسَم بالقرآن للمرشح للانتخابات. في حين أن الكثير لم ينتبه إلى أهمية هذه المسألة التي تعتبر من المسائل المهمة جداً، والدليل على ذلك، أن مجلس الشورى الوطني آنذاك، مع أنه كان مجلساً معيناً ولم يكن منتخباً، لم يتجرأ النظام أن يطرح ذلك بصورة علنية عليه، لأنهم كانوا خائفين من ردّة الفعل، بل تركوا المسألة وأعلنوها بعد انحلال المجلس، وتمت المصادقة

(١) غرر الحكم، ح٦٢١١.

على ذلك بصورة مخفية، ما يدل على حساسية هذه القضية وأهميتها.

يضيف الإمام الخامنئي قائلاً: «إنه في بدايات انتصار الثورة الإسلامية وقبل بدء الحرب المفروضة، طلب مني الإمام بصفتي ممثله في وزارة الدفاع أن أعدّ له بياناً حول إحصائيات التجهيزات الحربية في إيران، وبناءً عليه قمت بتهيئة مجموعات متخصصة وأرسلتها إلى مراكز الأسلحة والتجهيزات الحربية الموجودة في أرجاء البلاد لتقوم بتهيئة الإحصائيات بدقة، وكانت التقارير تبين عدد البنادق والمدافع والصورايخ.. إلخ، وعندما سلّمت الإمام ما توصّلنا إليه قال: لا يمكن أن تكون هذه البيانات حقيقية. عندها تعجبت وشعرت بعدم الراحة وقلت في نفسي: كيف يمكن للإمام أن يرفض هذه البيانات الإحصائية؟ ومرة أخرى أرسلت من يعيد النظر في هذه البيانات فقدموا إحصاءات جديدة، وعندما قدّمتها للإمام نظر إليها وقال: نعم هذه يمكن أن تكون أقرب للواقع من سابقتها. عندها سألت الإمام: هل كنتم مطّلعين على بيانات التجهيزات الحربية قبل الثورة؟ فقال: لا... قلت له: هل استلمتم بيانات أخرى من جهة أخرى بيَّنت خلاف ما استلمتم منّا في المرة الأولى، قال: لا... وسألته: إذن كيف عرفتم بأن البيانات الأولى غير واقعية والثانية أقرب إلى الواقع؟ فقال الإمام ﷺ: عندما قرأت البيانات الأولى تبادر إلى ذهني أن إيران كانت مركزاً للناتو، ومركز الناتو لا يمكن أن يكون عنده هذا المقدار القليل من الأسلحة».

قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران بدأت جماعة «منافقي خلق» بتحركات مسلحة وكانت هذه التحركات مرتبطة بالجماعات اليسارية، وكانوا يعرّفون عن أنفسهم بأنهم مسلمون، وكثير من منشوراتهم وحتى شعار منظمتهم تضم آيات من القرآن الكريم، الأمر الذي خدع الكثير من الثوريين وقادتهم بهذه الشعارات وحتى أن الكثير منهم قام بالترويج لهذه المجموعات والمنظمات. فبعض من هؤلاء القادة طلب من الإمام تأييد هذه الجماعة، وكان الإمام يرفض الأمر، لذلك حاول البعض أن ينظم لقاءً خاصاً لأحد قادتهم وهو السيّد روحاني مع الإمام، فذهب روحاني إلى النجف وبقي ثلاثة أيام، وكل يوم كان يجلس مع الإمام ويشرح له إيديولوجية ومعتقدات المنظمة، ومع أنه كان يستشهد لآرائه من نهج البلاغة ويستدل بآيات من القرآن الكريم، لكنه لم يستطع أن يخدع الإمام ﵀ ولم يحظَ بأي تأييد منه على الإطلاق. لم تلبث هذه المنظمة بعد انتصار الثورة الإسلامية أنْ كشفت القناع عن وجهها وكانت مواقفها كلها ضد الثورة، وبعد ذلك التحقت هذه الجماعة بصدام وأميركا وإسرائيل، وحاربت النظام الإسلامي وقتلت الكثير من رموز الثورة ومنهم آية الله بهشتي ﵀ رئيس القوة القضائية آنذاك.

إن المساندة الإلهية لا تقتصر على الأمور المادية، فهي تشتمل على الهداية ومعرفة الطريق والبصيرة أيضاً، التي تعتبر من العوامل المهمة المؤدية إلى نصرة المؤمنين وعدم انهزامهم وسقوطهم في حبائل الشيطان ﴿. . . وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ

سُبُلَنَاۚ﴾[1]. في الحديث المأثور عن المعصوم عليه السلام: «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده».

٤ ـ التوكّل على الله

معنى التوكّل

لما سُئل جَبرائيلُ عليه السلام ـ من النَّبيّ صلى الله عليه وآله ـ عنِ التَّوكُّلِ علَى الله ـ قال: «العِلمُ بأنّ المخلوقَ لا يَضُرُّ ولا ينفَعُ، ولا يُعطي ولا يَمنَعُ، واستِعمالُ اليأسِ مِن الخَلقِ، فإذا كانَ العَبدُ كذلكَ لَم يَعمَلْ لأحَدٍ سِوَى الله، ولَم يَرْجُ ولَم يَخَفْ سِوَى الله، ولَم يَطمَعْ في أحَدٍ سِوَى اللّهِ، فهذا هُو التَّوكُّلُ»[2].

ثَمرةُ التَّوكُّلِ

إنّ التوكّل على الله يؤتي أُكُلَهُ ثماراً شهية ونفوساً طيبة.

يقول الله في القرآن الكريم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[3].

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَن أحبَّ أن يَكونَ أقوَى النّاسِ فلْيَتَوكَّلْ علَى الله تعالى»[4].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٢) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج١٠، ص٦٧٤.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٤) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج١٠، ص٦٧٤.

ويقول الإمام عليٌ عليه السلام: «مَن تَوَكَّلَ علَى اللّهِ ذَلَّت لَهُ الصِّعابُ، وتَسهَّلَت علَيهِ الأسبابُ»[1].

ويقول الإمام الباقرُ عليه السلام: «مَن تَوَكَّلَ علَى اللّهِ لا يُغلَبُ، ومَنِ اعتَصمَ باللّهِ لا يُهزَمُ»[2].

أدبُ التَّوكُّلِ

عندما نريد أن نحقق أهدافنا وغاياتنا نلجأ دائماً إلى وسائل متعددة توصلنا إلى مبتغانا وهدفنا. وللوصول إلى مرحلة التوكّل، لا بدّ من الاعتقاد بأن جميع الوسائل والطرق هي من عند الله (سبحانه وتعالى)، وأنه هو مسبّب الأسباب. ولذا يجب علينا أن لا ندَّعي استقلاليتنا أو استقلالية الوسائل عن القدرة الإلهية، ولا نقصد من التوكّل تعطيل دور الإنسان أو الأسباب والعلل الأخرى في تحقيق الغاية، بل يجب أن نعتقد بأن الله تعالى هو أصل العلل والأسباب، وهو مسبّب الأسباب، وكل ما سواه من الأشياء ما هي إلا مظهر من مظاهر الله تعالى، لأن كل الأسباب المادية الموجودة في الكون غير مستقلة في سببيّتها وتأثيرها، وقوة تأثيرها وسببيّتها تتحدّد بما عيَّنه الله تعالى لها من التأثير والسببية.

حدود التوكّل والاستعانة بالأسباب

يعتقد البعض أن حدود التوكل تختلف عن حدود (التسبّب)

(1) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج١٠، ص٦٧٤.
(2) المصدر نفسه.

أي الاستعانة بالوسائل والأسباب؛ بمعنى أنه إذا توفرت الأسباب والوسائل لإنجاز عمل ما، فلا حاجة إلى التوكّل والاعتماد على الله تعالى، أما إذا انعدمت هذه الأسباب والوسائل، وَجَبَ على الإنسان الاعتماد على الله والتوكّل عليه في تحقيق ما يرمي إليه. وللفصل بين حدود التوكّل والتسبّب يقولون: إذا ما توفرت الوسائل والأهداف التي توصل الإنسان إلى هدفه، لا يكون الإنسان هنا بحاجة إلى الاعتماد والتوكّل، فالإنسان المتوكّل لا يلتجئ إلى الأسباب الأخرى بل يتركها؛ فمثلاً في باب الجهاد فإن بعض الأمور تتحقّق عن طريق الاستعانة بالعلل والأسباب، من دون اللجوء إلى التوكّل.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ. . .﴾[1].

أما القسم الآخر فيكون بالتوكّل، من دون التمسك بالعلل والوسائط.

﴿. . . وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا. . .﴾[2].

أي إذا توصلتم إلى حدود التوكّل، فلا تلجأوا إلى الوسائل الأخرى.

قد تُطرح هذه الفكرة في دعاء التوسل، أي أن حدود دعاء التوسل تتمثّل في غياب العوامل والأسباب المادية الأخرى أو عدم قدرتها على فعل شيء.

إن هذين الاعتقادين يقومان على البطلان. إذ ليس من

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

الصواب القول إن الإنسان قد ينجز بعض أعماله عن طريق الاستعانة بالأسباب والوسائل المادية من دون حاجة إلى التوكّل، أو قد يلجأ إلى الدعاء والتوسل بمعزل عن الاستفادة من الأسباب. فالتوكل حاضر لدى الإنسان في جميع أعماله وإنجازاته، حتى في الأوقات التي يستعين فيها بالأسباب والوسائل الأخرى من أجل التوصل إلى مبتغاه، يجب أن يكون التوكل والدعاء والتوسل حاضراً في جميع الأحوال والأوقات. إن التوكّل يجب أن يكون حين تهيئة الأسباب والوسائل، وحين الاستعانة بهذه الأسباب، لأن وجود الأسباب والعلل يكون من الله تعالى (مسبّب الأسباب)، ومن جهة أخرى من الممكن أن تزول هذه الأسباب والعلل بسبب من الأسباب الإلهية (محطم الأسباب)، فلا نستطيع حينها تحقيق ما نصبو إليه.

التوكّل إذاً، هو مثل الدعاء والتوسل، لا يتحدّد بتوفر العلل والأسباب الظاهرية والمادية، ذاك أن المتوكّل يوكل أمره إلى الله تعالى ويعتمد عليه في جميع شؤون الكون وأعماله؛ من جملتها الحصول على الأسباب والعلل المادية والظاهرية.

وقد جاء في الحديث الشريف: «واعقل راحلتك وتوكل».

وهذا الحديث لا يعني أنّ عقل الناقة وحفظها هو من صنيع الإنسان، أما إذا غاب الإنسان فيكون حفظها من صنيع الله تعالى. هذا يعني تحديد التوكل وحصره. إن المقصود من الحديث (اعقل متوكلاً)، في حال عقالك للناقة وربطها يجب أن تكون متوكلاً.

قال رسولُ الله ﷺ لِرجُلٍ قالَ لَهُ: أأعقِلُها وأتَوكَّلُ، أو أُطلِقُها وأتَوَكَّلُ؟: «اعقِلْها وتَوَكَّلْ»[1].

وعنه ﷺ ـ لِقَومٍ رآهُم لا يَزرَعُونَ ـ : «ما أنتُم؟ قالوا: نَحنُ المُتَوَكِّلونَ، قالَ: لا، بَل أنتُمُ المُتَّكِلونَ»[2].

كما قال الإمام الصّادق عليه السلام: «لا تَدَعْ طَلَبَ الرِّزقِ مِن حِلِّهِ فإنَّهُ أعوَنُ لَكَ على دِينِكَ، واعقِلْ راحِلَتَكَ وتَوَكَّلْ»[3].

وعنه عليه السلام ـ لِقَومٍ أصِحّاءَ جالِسينَ في زاويةِ المَسجِدِ ـ : «مَن أنتُم؟ قالوا: نحنُ المُتَوَكِّلونَ. قالَ عليه السلام: لا، بَل أنتُمُ المُتَأكِّلَةُ»[4].

وعنه عليه السلام كذلك: «إنّ قَوماً مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ لَمّا نَزَلَت: ﴿... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ...﴾ أغلَقوا الأبوابَ وأقبَلوا علَى العِبادَةِ وقالوا: قد كُفِينا، فبَلَغَ ذلكَ النَّبيَّ ﷺ فأرسَلَ إلَيهِم فقالَ: ما حَمَلَكُم على ما صَنَعتُم؟ قالوا: يا رسولَ اللَّهِ! تُكُفِّلَ لَنا بأرزاقِنا فأقبَلنا علَى العِبادَةِ، فقالَ: إنّهُ مَن فَعَلَ ذلكَ لَم يُستَجَبْ لَهُ، علَيكُم بالطَّلَبِ»[5].

---

(١) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج١٠، ص٦٧٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج١٠، ص٦٧٤.

(٥) المصدر نفسه.



الانقِطاعُ إلى غيرِ اللَّهِ

إن الذي يقوم بتهذيب نفسه ضمن التكليف، ولا يؤمن بوجود قدرة فوق قدرة الله تعالى ولا يخاف غيره، لا بدّ وأن يعينه الله ويؤيده ﴿...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ...﴾[1]، و﴿...إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2].

عن رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تَتَّكِلْ إلى غيرِ اللَّهِ فيَكِلَكَ اللَّهُ إلَيهِ»[3].

وعنه ﷺ: «يَقولُ اللَّهُ (عزّ وجل): ما مِن مَخلوقٍ يَعتَصِمُ بمَخلوقٍ دُوني إلّا قَطَعتُ أبوابَ السَّماواتِ والأرضِ دُونَهُ، فإن دَعاني لَم أُجِبْهُ، وإن سَألَني لَم أُعطِهِ»[4].

قال رسول الله ﷺ: «التَّوَكُّلُ بَعْدَ الْكَيْسِ مَوْعِظَةٌ»[5].

قال الإمام عليٌّ عليه السلام: «إيّاكَ والثِّقَةَ بنَفسِكَ؛ فإنَّ ذلكَ مِن أكبَرِ مَصائدِ الشَّيطانِ»[6].

وقال الكاظم عليه السلام: «لَمّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ...﴾، قال: اَلتَّوَكُّلُ عَلَى اللّه دَرَجاتٌ، مِنْها أَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَى اللّه في أُمورِكَ كُلِّها فَما فَعَلَ بِكَ كُنْتَ عَنْهُ راضِياً تَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَألوكَ خَيْراً وَفَضْلاً، وَتَعْلَمُ أَنَّ

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

(٣) منتخب ميزان الحكمة وميزان الحكمة، ج١٠، ص٦٧٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) كنز العمال، ج٣، ص١٠٣، ح٥٦٩٦.

الْحُكْمَ في ذلِكَ لَهُ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه بِتَفويضِ ذلِكَ إِلَيْهِ وَثِقْ بِهِ فيها وَفي غَيْرِها».

إن امرأ يتوكّل على الله ويسلّم أموره كلها إليه لا بدّ وأن يتمتع بروح سامية تمكّنه من أن يواجه الشدائد والمصائب، حتى ولو تعلّق الأمر بوفاة ابنه العزيز فسيواجه ذلك بالصبر والتحمّل... يقول الإمام الخامنئي: **«إذا دقّقنا في نشاطات وتحركات الإمام نستطيع أن نعرف أن سبب ثباته في مواجهة تغيّرات الحياة وصعابها، هو التوكّل الحقيقي على الله (سبحانه وتعالى)، حيث لم يكن يعرف أيّ قوة مؤثرة في حياته غير الله تعالى، لذلك كان الله مسانداً ومؤيداً ومدافعاً عنه في جميع مراحل حياته، حتى أوصله إلى هذا الانتصار العجيب».**

ويضيف: **«كان المسؤولون عندما يواجهون أحداثاً ومواقفَ صعبة تجعلهم يصلون إلى طريق مسدود يلتجئون إلى الإمام ليهدئ من روعهم ويطمئنهم بنَفَسِه الطاهر. فكان كالجبل الثابت لا يهزّه شيء، وكان يبعد كل أنواع الخوف والاضطراب عن قلوب المقربين والملازمين له، وعند وفاة ابنه كان في عمر يقارب الثمانين عاماً، وابنه كان عالماً معروفاً وأملاً للمستقبل، قال جملة مفادها أنّ موت مصطفى لطف من ألطاف الله الخفيّة، أي تلقّى هذا الحدث واعتبره رحمة ولطفاً إلهيين؛ أي أن الله قد لطف به لطفاً خفياً.**

وهذه الحالة تبين عظمة هذا الإنسان الذي بقي كالجبل الشامخ أمام جميع الشدائد والصعاب التي تعرَّض لها خلال

الثورة الإسلامية، فردٌ كهذا متوكل على الله تعالى، لا بدّ أن تساعده الأيادي الغيبية».

ويقول الإمام الخامنئي أيضاً: «في العام ١٩٨٦ وأواخر السنة الهجرية الشمسية ١٣٦٥ ذهبت إلى محضر الإمام رحمه الله بمرافقة الشيخ هاشمي رفسنجاني والسيّد الحاج أحمد الخميني وطلبت منه تنظيم لقاء مع عامة الشعب بمناسبة حلول السنة الشمسية الجديدة لأنها كانت توافق ولادة أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام، لكن الإمام رفض رفضاً قاطعاً بأنه ليس مستعداً لذلك. وصادف أن تعرَّض الإمام إلى أزمة قلبية في أول أيام النوروز، ... عندما ذهبت إلى المستشفى لزيارته قلت له: لقد كان قراراً في محله عندما رفضت إصرارنا على ذلك اللّقاء لأنه لو كنا قد قمنا بتنظيمه، ما كنت قادراً على لقاء الناس وكان انعكاس ذلك سلباً على العالم. لقد كان قراركم آنذاك مسدّداً بدعم وتأييد إلهي، فأجابني قائلاً: أنا أحسست منذ بداية الثورة الإسلامية لغاية الآن أن هناك أيادي غيبية تهدي أعمالنا وتؤيدنا».

الإمام الخامنئي ينقل هذه الحكاية: «في اليوم الثالث أو الرابع من الحرب كنا مجتمعين في غرفة الأركان العامة، وكان معنا مسؤولون من الحكومة ورئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، حيث كان بني صدر رئيساً للجمهورية، والمرحوم رجائي رئيساً للوزراء، وكان معنا بعض من أعضاء البرلمان، وعدد من أعضاء القيادة العسكرية وكنا نناقش القضايا الحساسة ونستشير بعضنا البعض، وبعد قليل جاء أحد العسكريين وقف إلى جانبي وقال:



إن الإخوة في الغرفة المجاورة يودّون أن يتكلموا معك على انفراد، ذهبت إلى الغرفة جلست وسألتهم: ماذا تريدون مني؟ وضعوا ورقة أمامي «لا زلت محتفظاً بهذه الورقة في دفتر مذكراتي ولا زال خط هذين العزيزين عليها» وقالوا: انظر هذه طائراتنا؛ حيث كتبوا سبعة أو ثمانية أنواع من الطائرات العسكرية الحربية والنقلية، وكتبوا مثلاً: نحن لدينا عشر طائرات من هذا النوع يمكن الاستفادة منها إلى فترة زمنية معينة، وبعدها تصبح غير صالحة للاستعمال، حيث تحوي الطائرات قطع غيار يجب تبديلها بعد كل إقلاع أو إقلاعين لها، وقالوا: نحن لا نملك هذه القطع، وبعد خمسة أيام تقريباً سوف تنتهي صلاحية هذا النوع من الطائرات، وبعد اثني عشر يوماً سوف تنتهي صلاحية نوع آخر من الطائرات؛ وبعد ١٤ أو ١٥ يوماً صنف آخر من الطائرات سوف يكون عديم الاستعمال وهذا النوع أي C١٣٠ لا يمكن استخدامه لأكثر من ثلاثين أو واحد وثلاثين يوماً، أي أن إيران سوف تكون غير مكتفية من ناحية الطيران العسكري الحربي أو العسكري الدفاعي والنقلي. قالوا: يا سيد هذه هي إمكاناتنا الحربية، اذهب وأطلع الإمام على الأوضاع. في الحقيقة انتابني نوع من القلق! وقلت في نفسي: إذا نفدت طائراتنا ماذا نفعل؟

قلت لهم: لا بأس، أخذت الورقة وذهبت إلى الإمام الخميني في جماران؛ قلت: يا سيدي! إنّ قادتنا العسكريين المطلعون على إمكانياتنا العسكرية يقولون بأن طائراتنا الحربية لا تخدمنا أكثر من خمسة عشر يوماً، وآخر نوع من طائرات

النقل هو (C130) ويمكنها أن تخدمنا كحد أقصى ثلاثين إلى واحد وثلاثين يوماً، وبعدها تنفَد طائراتنا. نظر الإمام نظرة، وقال: (نقلاً عن مضمون كلام الإمام، لأنني لا أتذكر العبارات عينها التي استخدمها الإمام)؛ ما هذا الكلام! قل لهم أن يتابعوا الحرب، إن الله هو الكافي، وهو الذي سوف يؤمّن الوضع، وسوف لا يحدث أي ضرر. لم يقنعني ظاهر كلام الإمام ؛ لأن الإمام لم يكن متخصّصاً في مجال الطائرات؛ لكنني كنت أؤمن بالدعم الإلهي له وبمصداقيته وبصيرته، وأن الله (سبحانه وتعالى) قد اختار هذا الرجل لأداء مهمة كبرى، وسوف لا يتركه وحيداً. كنت أعتقد بهذه الأمور، لذلك كان قلبي مطمئناً، بعدها جئت إلى القادة العسكريين وقلت لهم: إن الإمام يقول: اذهبوا وقوموا بالتصليحات الممكنة وأقدموا على الأمر وحاربوا. إن طائرات (F4, F5, F14) التي كان من المقرر أن تكون غير صالحة الاستعمال بعد أربعة أو خمسة أيام، لا تزال فاعلة وموجودة في قواتنا الجوية! وقد مرّت ٢٩ سنة من عام ١٩٧٩م ولا تزال هذه الطائرات فاعلة! طبعاً عدد منها قد تضرَّر أثناء الحرب، وتمّ قصف البعض منها وإسقاطه، وبعضها الآخر أصبح غير صالح للاستعمال، في مقابل هذا النقصان كان هناك نوع من الاكتفاء والنمو».

نعم «من يتوكل على الله فهو حسبه». نحن خلال الثورة الإسلامية وخلال الحرب المفروضة وكذلك خلال عصر الازدهار والتطور شاهدنا الكثير من الإمدادات الغيبية، نشير إلى بعضها وإن لم يتعلق ذلك بالإمام الخميني أو الإمام الخامنئي بشكل مباشر.

نتيجة التوكل على الله إلى جانب التوسل بالأئمة عليهم السلام

ينقل السيّد علي رضا زاكائي ممثل طهران في المجلس، ذكرى عن الشهيد طهراني مقدّم، يقول: ذات يوم كنت والشهيد عائدَين من صلاة الجماعة وبينما كنا نتحدث بمواضيع مختلفة، فجأة تطرق الشهيد في حديثه إلى أحداث سفره إلى روسيا مع وفد لشراء هندسة تصنيع صاروخ روسي فائق الحساسية بمدى ٣٠٠ كلم، هذا النوع من الصواريخ يصل إلى الهدف بأقل احتمالات الخطأ المتوقعة، وكانت روسيا الدولة الوحيدة التي تمتلك مثل هذه التكنولوجيا، لكن المفاوضات مع روسيا لم تصل إلى نتيجة لأنهم كانوا يعتبرون أن استراتيجيتهم في المنطقة تعتمد على هذا النوع من السلاح، وكانوا يبدون تحسساً عالياً حيال هذا الأمر. وقال الشهيد أيضاً: قلت لأحد الجنرالات الروس وبشكل مؤكد: نحن نستطيع أن نصل إلى هذه التكنولوجيا ونقوم بتصنيع هذا الصاروخ، فابتسم بسخرية من دون أن يعلّق...

وأضاف الشهيد: عندما رجعت من روسيا كان كل همي أن أصنع نموذجاً يشابه الصاروخ الروسي، وخلال التجارب التي كنت أجريها لصناعة هذا الصاروخ كنت أواجه نوعاً من الخلل التقني. وقال الشهيد: من أجل حلّ هذه المشكلة توكلت على الله وتوسلت بالأئمة الأطهار عليهم السلام، وذهبت إلى مشهد وبقيت ثلاثة أيام في حضرة الإمام الرضا عليه السلام متوسلاً به، كنت أفكر بالمشاكل التقنية التي واجهتني خلال صناعة هذا الصاروخ،

ويقول الشهيد: وبعد مرور ثلاثة أيام وأنا في حرم الإمام الرضا عليه السلام، فجأة خطر في ذهني موضوع معين وشعرت بأنه هو مفتاح هذه المشكلة، فقال: أتممت زيارتي وعدت إلى المنزل مسرعاً وأخذت دفتر رسم ابنتي الذي كان أمامي، وبدأت أخطط ما جال في ذهني على هذا الدفتر، وبعد رجوعي من مشهد، طبقت هذه المسألة على النموذج وبلطف الله وقوته استطعت أن أصل إلى المحل المناسب. وقال السيّد علي رضا: أطلعني الشهيد مرة أخرى على نتائج عمله التي توصّل إليها بواسطة الكمبيوتر، في الواقع كان عملاً رائعاً، الصاروخ المصّنع هذا تمّ إنتاجه ذاتياً من قبل الحرس الثوري الإسلامي، وكان هذا النموذج يتفوّق في بعض الصفات على مثيله عند الروس.

٥ ـ حب الناس من حب الله

المجاهد في الجهاد الأكبر لا يرى في الوجود إلا الله فلا يعمل ولا يقوم لغير الله. مثل هذا الإنسان ينطلق في رؤيته ونظرته إلى الكون ومنها إلى أخيه الإنسان من الدين، فينظر إلى الكون كمخلوق ينطلق في الله (تبارك وتعالى) ومرتبط به؛ فيرى إلى الكون والإنسان ويتعامل معهما بما فيهما من أشكال التعلق بالله والارتباط به. فيحب المخلوق لأنه يحب الله؛ «والناس عيال الله» كما في الروايات خدمة الناس خدمة لله (تبارك وتعالى). كما يعتبر التوفيق للقيام بخدمة الناس والمعروف إليهم من النعم الإلهيه الكبرى وحاجة الناس إليه من أعظم نِعَم الله عليه.

من هذا المنطلق يتعامل مع الناس على أساس المحبة والمودة والمساعدة وليس على أساس المصالح أو الابتزاز أو التحكم أو الأنانية أو الاستعلاء والفوقية ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ. . .﴾[1]. فهو يخدم الناس دون أي منّة عليهم، ويرى في خدمة الناس عبادة تقربه إلى الله تعالى، ويؤمن بما جاء في الرواية: «**حاجة الناس إليك من أعظم نِعَمْ الله عليك**».

فضل خدمة الناس وثوابها

من النِّعم الإلهية الكبرى أن يوفّق الإنسان للقيام بخدمة أو معروف تجاه إخوانه، لأنه لو اطلع على ما أعدّه اللّه تعالى له من عطاء أبديّ فسوف يقتنع بأن المحتاج والمخدوم، هو الذي يسدي خدمة للخادم والباذل، ذلك لأنه السبب في حصوله على هذه الهبة الربانية. وعليه ليس من الصواب أن تتاح فرصة لأحدنا كي يقوم بتقديم مساعدة للآخرين وقضاء حوائجهم فيفوّت تلك الفرصة؛ وفي الواقع فإن من يطرق بابك محتاجاً إلى المساعدة فقد ساق رحمة الله تعالى إليك.

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله، فإنّ للجنة باباً يُقال له: المعروف، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا فإنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكّل الله به ملكين،**



(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته».

خدمة الناس هي خدمة الله: فيما جاء عن مولانا الصادق عليه السلام: **«من قضى لأخيه المسلم حاجة، كان كمن خدم الله تعالى عمره».**

في الحديث، قال الله (عزَّ وجل): **«الخلق عيالي، فأحبهم إليّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم».**

ويحدثنا مولانا الباقر عليه السلام عن مدى حبّه وتفضيله لخدمة المحرومين حيث يقول: **«لأنْ أعول أهل بيت من المسلمين، أسدّ جوعتهم وأكسو عورتهم، فأكفّ وجوههم عن الناس أحبُّ إليَّ من أن أحجَّ حجّة وحجّة ومثلها ومثلها حتى بلغ عشراً ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين».**

ورُوي عن مولانا الكاظم عليه السلام أنه قال: **«إن لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة».**

وعن الباقر عليه السلام: **«من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله كتب الله له ألف ألف حسنة».**



ونلاحظ هنا أن هذا الأثر الأخروي مترتب على السعي حتى وإن لم تُقضَ الحاجة. فلو بذل الإنسان سعيه وسعى ليقضي حاجة أخيه ولم يوفّق كان له هذا الأثر فكيف لو قضيت؟!

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من سعى في حاجة أخيه المؤمن، فكأنما عبدَ الله تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره قائماً ليله».**

قبح الامتناع عن قضاء حاجة الأخ

الامتناع عن قضاء حاجة الأخ مع القدرة عليها يعدّ من الأعمال القبيحة والمشؤومة؛ وهو ما ورد في طائفة كبيرة من الأحاديث الشريفة كما عن مولانا الصادق عليه السلام: **«أيّما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة وهو يقدر على قضائها فمنعه إياها، عيّره اللَّه يوم القيامة تعييراً شديداً، وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضاءها في يديك فمنعته إياها زهداً منك في ثوابها، وعزّتي لا أنظر إليك في حاجة معذّباً كنت أو مغفوراً لك»**.

وهكذا فإن الذي يردّ محتاجاً قصده ولجأ إليه مستعيناً به، يبعد نفسه عن ساحة النظر الإلهي بالرأفة والتأييد له. بل ويقطع ولايته باللَّه (عزَّ وجلّ) حينما يأتيه مستجيراً فلا يجبره. يقول مولانا الكاظم عليه السلام: **«من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجِره بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية اللَّه (عزَّ وجلّ)»**.

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: **«من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»**. في هذا الحديث لم يقيّد الرجل بالإسلام والإيمان.

وفي حديث آخر اعتبر الامتناع عن الخدمة استخفافاً بآل البيت عليهم السلام؛ يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد: **«من استخف بمؤمن فبنا استخف وضيّع حرمة الله (عزَّ وجلّ)»**.

وعنه ﷺ: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة».

من حبس ماله عن مؤمن لا يذوق طعام الجنّة

في الحديث الشريف: «أيما مؤمن حبس مؤمناً عن ماله وهو محتاج إليه لم يذق والله من طعام الجنة ولا يشرب من الرحيق المختوم».

وفي الحديث: «إن خواتم أعمالكم قضاء حوائج إخوانكم والإحسان إليهم ما قدرتم وإلا لم يُقبل منكم عمل».

في الحديث أيضاً: «من سأله أخوه المؤمن حاجة من ضرٍّ فمنعه من سعة وهو يقدر عليها من عنده أو من عند غيره، حشره الله يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يفرغ الله من حساب الخلق».

من ردّ طالب حاجة يبوء بلعنة من الله

الاحتجاب أو ترك المقابلة هو أحد الأساليب التي يعتمدها غالباً من يرفض مساعدة الناس، ويمتنع من خلالها حيث يلجأ إلى إراحة نفسه من مواجهة الطالب.

يقول الصادق ﷺ: «من صار إلى أخيه المؤمن في حاجته أو مسلماً فحجبه لم يزل من لعنة الله إلى أن حضرته الوفاة».

ومما جاء في حديث آخر عن الأثر الخطير للامتناع عن مقابلة صاحب الحاجة والخروج إليه ما قاله مولانا الباقر ﷺ: «أيّما مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله

فاستأذن له ولم يخرج إليه، لم يزل في لعنة الله (عزَّ وجلّ) حتى يلتقيا».

طلب المعروف من أهله

طالما كان المرء قادراً على قضاء حوائجه بنفسه فعليه عدم الاعتماد على غيره من الناس وترك الركون إليهم بالسؤال، بل إن عليه السعي بمقدار جهده، وما التوفيق إلا من عند الله (عزَّ وجلّ)، ولكن قد تسوقه الظروف إلى حالة يضطر معها إلى طلب مساعدة من أخ له، وحينئذٍ إذا كان لا بد من ذلك فعليه أن يحسن اختيار من يقصده طالباً منه حاجته كي لا يقع في محذور ردّه والإساءة إليه؛ لأن الإنسان لا يملك أن يذل نفسه ويهينها، ولا أن يمكّن الآخرين من إذلاله وإهانته. فإذا كان الآخر عاجزاً عن تلبية طلبه فعليه الحفاظ على شعور قاصده حين إبداء العجز. وهذا إنما يكون في بعض أصناف الناس الذين أرشدنا إليهم أهل بيت العصمة ﷺ حينما بيّنوا من هم الذين ترفع إليهم الحاجة يقول سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ: «**لا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروّة، أو حسب، فأما ذو الدين فيصون دينه، وأما ذو المروة فإنه يستحي لمروته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك**».

ومما أوصى به أمير المؤمنين ﷺ ولده الحسن ﷺ قوله: «**يا بنيَّ إذا نزل بك كلب الزمان وقحط الدهر فعليك بذوي**



الأصول الثابتة والفروع النابتة من أهل الرحمة والإيثار والشفقة فإنهم أقضى للحاجات وأمضى لدفع الملمّات».

فإذا ابتلي الإنسان بالاحتياج إلى أقرانه من بني البشر فعليه أن يكون حكيماً في اختيار الجهة التي يتوجّه إليها بطلب الحاجة؛ لأن من أغلى ما يملك الإنسان هو ماء وجهه الذي لا يقدّر بثمن. ولذا فعليه أن يبذله عند من يصونه.

قال الإمام علي عليه السلام: «ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره».

إن هذه الصفة كان يتمتع بها الإمام روح الله الخميني.

كان الإمام روح الله الخميني يحب الناس كثيراً ويودّهم. ويذكر الإمام الخامنئي مدى احترام الإمام روح الله الخميني للناس وحبه لهم فيقول: «كنت أرى عيون الإمام تمتلئ بالدموع عندما كان يرى الأطفال يأتون بصناديق ادّخارهم من أجل تقديمها إلى جبهات القتال، وعندما كنت أنقل له نداءات أمهات الشهداء كانت الدموع تسيل من عينه، وكان يثق بالناس في أصعب الظروف وأحرجها، ويعتمد على صدقهم ووفائهم وغيرتهم وشجاعتهم».

خدمة الناس أفضل الأعمال

إن مساعدة المحرومين كانت السيرة العملية للإمام الراحل، وكان يقول: «لا أعتقد بأن هناك عبادة أعظم من مساعدة المحرومين، إن خدمة ساكني الأكواخ لا تضاهيها خدمة أخرى عند الله تعالى، ونظرة واحدة من ساكني الأكواخ وعوائل

الشهداء أفضل من جميع ساكني القصور في العالم». كان طوال حياته متمسّكاً بمساعدة الناس.

يذكر المرحوم السيّد تربتي جار الإمام روح الله الخميني في قم المقدسة، في أحد الأيام كنت والإمام في طريقنا إلى درس المرحوم الشاه آبادي، كان ذلك في فصل الشتاء وكان الجو بارداً جداً، وكنا نمر من أمام المدرسة الحجتية، رأينا امرأة جالسة قرب النهر تغسل الملابس (لا أدري هل كانت الملابس لها أم كانت خادمة) وكانت تكسّر الثلج المتجمع على النهر بيدها وتغسل الملابس، ومن ثم تُخرج يدها من الماء وتضعها على جسمها لتوصل إليها قليلاً من حرارة بدنها. ومن ثم تعاود الغسل مرة أخرى، نظر إليها الإمام قليلاً ومن ثم قال لي: اذهب أنت وسوف آتي أنا لاحقاً. سألته: ما الخبر، إذا كان هناك شيء أخبرني. قال: لا شيء، أنت اذهب. فوقف الإمام وساعد المرأة في غسل الملابس، ومن ثم كتب شيئاً على ورقة صغيرة، كان عنوان هذه المرأة كلما كنت أسأله: ماذا حدث؟ كان يقول لي: لا شيء مهم. اتضح بعد ذلك، أنّ الإمام أخبر هذه المرأة وقال: **«إذا أردت أن تغسلي الملابس لا تأتي إلى هنا، بل اذهبي إلى بيتي لغسلها بعد أن أخبر أهل البيت بتسخين الماء لك وسأساعدك في غسلها».**

ويذكر السيّد شبيري زنجاني ما نقل عن الإمام قائلاً: عندما كان الإمام روح الله الخميني ﵀ في مشهد مع المرحوم والدي وأفراد آخرين، كان يذهب إلى مرقد الإمام الرضا ﵇ ويقرأ الزيارة بصورة مختصرة ويرجع إلى البيت الذي كانوا قد

استأجروه، ليُنظف المكان ويكنسه ويحضر الشاي والطعام. وعندما كان يرجع أصحابه من المرقد المطهّر كانوا يسألونه بتعجّب: كيف تختصر زيارتك من أجل صنع الشاي؟ كان الإمام يجيبهم قائلاً: **«إن خدمة زائري الإمام الرضا عليه السلام لا تقل أهمية عن زيارته عليه السلام»**.

هكذا كان الإمام، كان يرى في خدمة الناس أمراً عظيماً وجاء في الروايات أن أفضل عبادة هي خدمة العباد وحل مشاكلهم. إن الإسلام يرى في قضاء حاجة الخلق أمراً في غاية الأهمية.

يقول الإمام الخميني رحمه الله: **«ليهيئ الأحبة الأعزاء أنفسهم لخدمة الإسلام والشعب المحروم وليشدوا الأحزمة لخدمة العباد التي تعني خدمة الله»**.

يقول رحمه الله: **«لا أظن أن هناك عبادة أفضل من خدمة المحرومين»**.

لم يصب الإمامَ تكبّر ولا غرور، وكان يرى نفسه خادماً للناس، وكان يقول دائماً: **«أفضّل بأن تصفوني بالخادم لا القائد»**، وأيضاً كان يقول: **«الناس أفضل مني»**، **«أحسُّ بالحقارة أمامكم»**.

٦ ـ الزهد والعيش المشترك

من ثمرات ونتائج تهذيب النفس، الزهد في الدنيا وعدم التعلق باللذائذ والشهوات الدنيوية؛ والزهد ضروري لكل من يريد أن يصل إلى درجات السعادة والكمال وإصلاح الفرد،

والمجتمع بحاجة ماسة إلى هذه الصفة، وكلّما يرتقي الشخص في الدرجات والمقامات الدنيوية تصبح حاجته إلى الزهد مضاعفة لأنه يصونه من الزلل والهبوط والسقوط. فالزهد لدى الحاكم والسلطان هو شرط ضروري لأنه يحميه من السقوط؛ إذ عندما يصل إلى سدّة الحكم لا يفكر في جمع الأموال لنفسه ولعائلته، ولا في ادّخارها من بيت مال المسلمين، بل يكون دقيقاً وأميناً على بيت المال وتكون حياته في منتهى البساطة.

من مواعظ النبي ﷺ: **«من أكل ما يشتهي ولبس ما يشتهي وركب ما يشتهي لم ينظر الله إليه حتى ينزع أو يترك»**[1].

حقيقة الزهد:

الزهد فضيلة أخلاقية ومعنوية، ومعناه: التخلي عن التعلّق بالدنيا وزخارفها وبهارجها والتوجّه إلى الحق جلّ ذكره والسير إلى منازل الآخرة. فهو في الحقيقة ضد الرغبة والحرص على الدنيا. فالجوهر الأساس في الزهد هو عدم التعلّق بالدنيا ولكن ليس معناه عدم امتلاك الناس شيئاً ورأسمالاً من الدنيا، بل إن حقيقة الزهد هي أن لا تكون الدنيا أميراً لمالكها، وألاّ يكون المالك للدنيا أسيراً لها،على هذا الأساس يمكن أن يكون شخصٌ ما متموّلاً وزاهداً في الوقت نفسه. ومن جهة أخرى ربَّ شخص فقير لا يملك من الدنيا شيئاً وهو غير زاهد.. ذلك لأنه حريص على الدنيا ومتعلّق بها ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى

(١) تحف العقول، ص٣٨.

الدنيا ويمتلك منها شيئاً فصار فقيراً. فالزهد ليس معناه فقر الزاهد أو أن لا يكون عنده من أمر الدنيا شيء... من هنا نفهم الفرق بين الزهد والرهبانية التي لا يُسمح بها في الإسلام. فإن الرهبانية هي ترك الدنيا، والتخلّي عنها، والاعتزال عن الناس والمجتمع، ولكن الزهد ليس معناه ترك الدنيا بل اتخاذه وسيلة للوصول إلى الكمال، من دون أن يكون له أي تعلق بها بحيث تكون الدنيا أسيراً لديه وهو أمير عليها؛ في المأثور: **«الزاهدون في الدنيا ملوك الدنيا والآخرة، ومن لم يزهد ورغب فيها فهو فقير الدنيا والآخرة، ومن زهد ملكها ومن رغب فيها ملكته»**[1].

بناءً على ذلك ينظر الزاهد إلى الدنيا والأمور الدنيوية من المال والأولاد والمناصب والمقامات وغيرها، كوسائل للارتقاء بواسطتها إلى الكمال والسعادة الإلهية والإنسانية، فيزيدها ويبذل جهده في طريق كسب هذه الأمور لأن يرتقي بها. أما غير الزاهد فإنه يريد الدنيا وينظر إليها كهدف، ومن هنا يحصل له التعلّق بها. فالزاهد في رؤيته إلى الدنيا إنما هو كراكب سيارة الأجرة الذي استأجرها لكي يصل إلى مقصده فلا يريد هذه السيارة إلا للوصول إلى مقصده، فالمهم عنده هو الوصول إلى المقصد بهذه السيارة. فإذن لا يهمه لونها وطرازها ومزاياها، بل المهم عند هذا الشخص هو استعمالها من أجل الوصول بها إلى المقصد في أسرع وقت ممكن وبأقل كلفة ممكنة. لذا فإن نسبة الزاهد إلى الدنيا هي كنسبة راكب التاكسي إلى السيارة لا يهمه

(١) إرشاد القلوب، ص٢٧.

أمور الدنيا وزخارفها، فهو قانع بالدنيا بأيّ مستوى كانت بل يكتفي بالاستمتاع من الدنيا بأقل منها. فبساطة العيش مثلاً من لوازم الزهد فإن الزاهد حيث يرى أن في حلالها حساباً وفي حرامها عقاباً، فإنه أولاً يجتنب الحرام وثانياً يكتفي بالعيش البسيط والمستوى الأقل من الدنيا وزخارفها خصوصاً في حياته الشخصية والأسرية. قال الإمام الصادق عليه السلام: **«(الزّاهد) الّذي يترك حلالها مخافة حسابِهِ ويتركُ حرامها مخافةَ عذابِهِ»**[1].

فالزاهد يضع رأسه عند النوم مرتاحاً لأنه زهد في الدنيا، أما غير الزاهد فيمسي ويصبح وهو قلق أين يضع ماله، وكيف يعمل لأن يدوم مقامه ومنصبه وحكومته وسلطته... إلخ.

إن العلم والزهد توأمان لا ينفصلان حتى ينتج عنهما مفهوم «العدالة»، فالزاهد غير المسلّح بقوة العلم يسير بلا هوادة، والعالم غير الزاهد، ينتقي من العلم ما هو في مصلحته الشخصية فقط. إن أمير المؤمنين الإمام علياً عليه السلام كما يشهد له الأعداء قبل الأصدقاء بأنه كان المصداق الحقيقي لتلك التوأمة، العلم والزهد، ومنذ ذلك الحين ارتفع هذا المفهوم ليصبح واحداً من أهم المفاهيم التي تؤمّن العدالة والرقي والتطور والاستقرار للمجتمعات الإنسانية كافة.

ما قلناه في حقيقة الزهد مستفاد من الروايات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام، ونورد في ما يلي شذرات منها:

١ ـ يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أزهد الناس من اجتنب الحرام»**.

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٣١١.

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «الزُّهدُ مِفتاحُ الآخرةِ والبراءةُ من النّارِ وهوَ تركُكَ كلَّ شيءٍ يَشغَلُكَ عن الله من غيرِ تأسُّفٍ على فَوتِها»[1].

٣ ـ وعن الإمام عليّ عليه السلام قوله: «إنما الناس ثلاث: زاهد وراغب وصابر؛ فأما الزاهد فلا يفرح بالدنيا إذا أتته، ولا يحزن عليها إذا فاتته، وأما الصابر فيتمنّاها بقلبه فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لعلمه بسوء العاقبة، وأما الراغب فلا يبالي من حلّ أصابها أم من حرام».

٤ ـ وعنه عليه السلام: «الزهد قصر الأمل».

٥ ـ عن الرسول صلى الله عليه وآله: «الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرّم الله».

٦ ـ عن الإمام علي عليه السلام: «هَمُّ الزاهد مخالفة الهوى».

٧ ـ وعنه عليه السلام: «الزاهد في الدنيا كلما ازدادت له تحلّياً ازداد عنها تولّياً».

٨ ـ وعنه كذلك عليه السلام: «الزهد في الدنيا ثلاثة أحرف: زاء وهاء ودال؛ فأما الزاء فترك الزينة، وأما الهاء فترك الهوى، وأما الدال فترك الدنيا».

٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا، وأما زهد الزاهد في هذه الدنيا فلا ينقصه مما قسّم الله (عزّ وجل) له فيها، وإنْ زهد، وإن حرص الحريص على عاجل

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٣١٥.

زهرة الحياة الدنيا لا يزيده فيها وإنْ حرص، فالمغبون من حُرم حظّه من الآخرة»[1].

١٠ ـ من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «أكثِر ذكرَ الآخرة وما فيها من النّعيم والعذابَ الأليم يُزّهِدْكَ في الدّنيا ويُصغّرْها عندك...»[2].

الروّاد من الزاهدين:

المعصومون عليهم السلام هم أهم رواد الزهد في العالم الإسلامي وفي مقدّمهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

وسنذكر بعضاً من الروايات والأحاديث التي تُظهر حياة الزهد التي عاشها أولئك العظام:

١ ـ روي في الحديث أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطّاب قال: «اسْتَأْذَنْتُ على رَسولِ الله صلى الله عليه وآله فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ في مَشْرَبَةِ أُمّ إبراهِيمَ وَإِنَّهُ لَمُضْطَجِعٌ على خَصَفَة وإنّ بَعْضَهُ على التُّرابِ وَتَحتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مُحْشُوَّةٌ لِيفاً، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، أنْتَ نَبِيُّ اللهِ وصَفوَتُهُ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَكِسْرى وَقَيْصَرُ على سُرُرِ الذَّهَبِ وَفُرُشِ الحَرِيرِ والدِّيباجِ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: أُولئِكَ قَوْمٌ عُجّلَتْ طَيّباتَهُمْ وَهِيَ وَشِيْكَةُ الانْقِطاعِ، وإنَّما أُخّرَتْ لَنا طَيّباتُنا».

٢ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام: «أنّه أتِيَ يَوْماً بحَلْوى فَامْتَنَع مِن

(١) أصول الكافي، ج٣، ص١٩٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٢٢٤.

تَناوُلِها فقالوا: أتراها حراماً؟ قال: لا، ولكنّي أخشى أنْ تتُوقَ نَفْسِي فَأطْلُبُه».

٣ ـ وعن الإمام علي عليه السلام: «وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إلى مُصفَّى هذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذا الْقَزِّ. وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إلى تَخَيُّرِ الأطْعِمَةِ... فَما خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أكْلُ الطَّيِّباتِ كالبَهِيمَةِ المَرْبوطَةِ هَمُّها عَلَفُها».

٤ ـ وعن الإمام علي عليه السلام في ذكر النبي صلى الله عليه وآله: «قَد حَقَّرَ الدُّنيا وصَغَّرَها، وأهوَنَ بها وهَوَّنَها، وعَلِمَ أنَّ اللّه زَواها عَنهُ اختِياراً، وبَسَطَها لِغَيرِهِ احتِقاراً، فَأَعرَضَ عَنِ الدُّنيا بِقَلبِهِ، وأماتَ ذِكرَها عَن نَفسِهِ، وأحَبَّ أن تَغيبَ زينَتُها عَن عَينِهِ؛ لِكَيلا يَتَّخِذَ مِنها رِياشاً، أو يَرجُوَ فيها مُقاماً. بَلَّغَ عَن رَبِّهِ مُعذِراً، ونَصَحَ لأُمَّتِهِ مُنذِراً، ودَعا إلى الجَنَّةِ مُبَشِّراً، وخَوَّفَ مِنَ النّارِ مُحذِّراً».

آثار الزهد:

من مزايا بعض الصفات الأخلاقية أن تولّد وتنتج صفات أخرى أخلاقية، وبعبارة أخرى فإن هذه الصفة هي منشأ وسبب لبروز صفة أو صفات أخرى في قلب الواجد لهذه الصفة. ولعلّ من الصفات التي تعتبر سبباً لبروز وظهور صفات أخرى، هي الزهد. فإن الزاهد هاهنا سوف يمتلك صفاتٍ أخرى بسبب زهده في الدنيا وهي:

أ ـ الصبر: عن الإمام الكاظم عليه السلام: «وإنّ أصبركم على

البلاء لأزهدكم في الدنيا»؛ عن الإمام عليّ عليه السلام: «من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات»؛ وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره».

ب ـ القناعة بما رزقه الله، والرضا بقضاء الله: عن السجاد عليه السلام: **«يقول الله يا بن آدم ارضَ بما آتيتك تكن من أزهد الناس».** وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ليس الزهد في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهد في الدنيا الرضا بقضاء الله».**

ج ـ الشجاعة لإقامة الحق والدفاع عنه: لأن الزاهد ليس حريصاً على الدنيا فلا يخاف من فقدان الدنيا وزخارفها ولو سبّب الدفاع عن الحق فقدانها، لأن الدنيا في نظر الزاهد ليست شيئاً قيّماً، وإنما هي وسيلة للتقرب بها إلى الله. عن الصادق عليه السلام: **«الدنيا أصغر قدراً عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بشيء منها «أو يحزنوا عليه» فلا ينبغي لعالم ولا لعاقل أن يفرح بعَرض الدنيا».** وعن الإمام علي عليه السلام: «الزهد كلمة بين كلمتين من القرآن: قال الله سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ...﴾، ومن لم يأسُ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه».

د ـ الحكمة والبصيرة: عن المعصوم عليه السلام: **«من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وانطلق بها لسانه وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار القرار».**

إن من العوامل التي تشكل مانعاً من معرفة الإنسان الحقائق

كما هي، وجود الحجب التي تمنع معرفة الإنسان. إن هذه الحجب تنشأ من حب الدنيا ذلك أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزاهد حيث إنه راغب إلى الآخرة فليس حريصاً على الدنيا فلا يحب الدنيا إلا كوسيلة للتقرّب إلى الله، فلا تمنعه الدنيا، ويستطيع أن يعرف الحق كما هو.

هـ ـ البساطة في العيش وسهولة الاجتناب عن الحرام:

وهما من آثار الزهد ومن لوازمه؛ فإن الزاهد إذ يرى أن في حلالها حساباً وفي حرامها عقاباً فإنه أولاً يجتنب الحرام وثانياً يكتفي بالعيش البسيط والمستوى الأقل من الدنيا وزخارفها خصوصاً في حياته الشخصية والأسرية. والفرد الذي يتّصف بهذه الصفة، عندما يصل إلى سدّة الحكم، لا يفكر في جمع الأموال لنفسه ولعائلته، ولا في ادّخارها من بيت مال المسلمين، بل يكون دقيقاً وأميناً على بيت المال وتكون حياته في منتهى البساطة.

يقول الإمام الخامنئي: «**كان الإمام الخميني ﷺ يرى الدنيا وبهارجها أمراً حقيراً لا قيمة له. إن الدنيا وبكل زينتها من القدرة والثروة والشهرة وغيرها من الإمكانات المادية قد أقبلت عليه، لكنه أعرض عنها، وتركها ورفض الحياة في قصور نياوران وسعدآباد... إلخ، واكتفى بالعيش في بيت صغير استأجره في قرية جماران. إن الإمام لم يكن يصرف من بيت مال المسلمين، بل كان يضع ما يملكه في خدمة الناس. كان العديد من أتباع الإمام ومحبيه وأصدقائه يقدّمون له الهدايا الكثيرة، لم يكن يقتني هذه الهدايا، بل كان يصرفها من أجل إعمار البلاد**

ومساعدة الفقراء ومتضرري الطوفان وغيرها من الموارد الأخرى. إن الإمام لم يكتف بتحرير نفسه من ملذات الدنيا وزخارفها، بل كان يوصي تلامذته بعدم السعي وراء ملذات الدنيا والاغترار بها، لأن زخارف الدنيا ومادياتها تمنع الإنسان من الجهاد في سبيل الله...».

أما الإمام الخامنئي فقد تميّز كذلك ببساطة العيش والإعراض عن التشريفات والبروتوكولات وتميّز أيضاً بالمحافظة على بيت مال المسلمين، وجعل هذه الأمور من الأمور الأساسية والمهمة في حياته، وظل متمسكاً ببساطة عيشه نفسها أثناء فترة دراسته في الحوزة العلمية. إنه يدير أموره الشخصية والعائلية ليس من بيت مال المسلمين ولا من الحقوق الشرعية التي تُصرف عنده من خُمس، وزكاة كما أنه لا يتقاضى راتباً شهرياً من الحكومة، بل من حقوق التأليف التي يحصل عليها جراء طباعة كتبه أو من النذورات التي تصله وتخصّه شخصياً.

يقول سماحته: «خلال مدة رئاستي للجمهورية كان المرحومان أبي وأمي يسكنان في منزلهما، ولم يخطر ببال أحد منهما ولا ببالي أنا، تغيير هذا البيت أو ترميمه بسبب تسلّمي منصب رئاسة الجمهورية، حتى عندما أصبح منزل أحد الجيران مشرفاً على منزلهما بسبب إحداث بناء جديد بحيث كان يصعب على والدتي التجوّل في باحة البيت بدون حجاب؛ اقترح عليَّ بعض الأصدقاء أن أطلب من جيران أهلي عدم الاستمرار في رفع البناء وجعله مشرفاً على المنزل، حينها طلبت منهم، لكنهم

لم يوافقوا على طلبي. في ذلك الوقت لم يكن لدينا أي ذريعة قانونية للاعتراض، أو لإجبار الجار على التراجع في رفع البناء متراً واحداً على الأقل».

إن هذا الأمر يبعث الاطمئنان والسعادة في قلوب الجميع، لأن المناصب والقدرات الدنيوية المادية، لا يمكنها أن تسمح للشخص بأن يشتبه بين وضعه الشخصي والرسمي، ويعتقد بأنه يجب أن يعيش برفاهية أكثر.

آية الله جوادي آملي يتناول الغداء في منزل الإمام الخامنئي:

يقول آية الله جوادي آملي: كنت يوماً مدعوّاً لتناول الغداء عند الإمام الخامنئي، وقبل إعداد الطعام كنا نناقش أموراً متعددة، وكان معنا ابنه السيّد مصطفى. وعندما تم إعداد الطعام، قال لابنه بأن يذهب إلى البيت لتناول الطعام، وعندما طلبت منه أن يتناول السيّد مصطفى الغداء معنا، رفض وقال: **«نحن مجتمعون من أجل العمل، وهذا الغداء هو غداء عمل من بيت مال المسلمين، لا يمكن للسيد مصطفى أن يأكل منه، لهذا يجب عليه أن يتناول الغداء في البيت».**

عشاء في حضرة الخامنئي، على لسان السيد رحيم صفوي قائد الحرس الثوري السابق:

كنت في حضرة الإمام السيد خامنئي لكي أستشيره في موضوع معين وآخذ بتوجيهاته وأوامره. طالت الجلسة حتى حان

وقت صلاة المغرب، فقمنا لتأدية صلاة جماعة، وبعد الانتهاء قال لي سماحته: **«يا سيد رحيم سوف نتناول طعام العشاء معاً وتكون ضيفاً علينا هذه الليلة»**. وعندما أجبتُ بأنني لا أريد أن أثقل عليه، قال: **«سوف نأكل من الطعام الموجود في المنزل، وأفراد الأسرة لا يقومون بأي عمل إضافي»**. فكانت هذه فرصة ثمينة لي أن أتناول العشاء مع سماحته على تلك المائدة التي أعدّت في منزله، وكانت عبارة عن بيض وبندورة وقليل من الخبز.

روايات كهذه تناقلتها أكثر من شخصية وأكثر من مجموعة. ضمن هذا الإطار يروي الشيخ هادي مروّي الذي يعمل في مكتب الإمام وهو المسؤول عن العلاقات مع الحوزات وعلماء الدين ومسائل تتعلق بالرؤية والاستهلال، فيقول في أواخر شهر رمضان المبارك كنا مجتمعين في المكتب نبحث في كيفية التأكّد من الرؤية حتى يتسنى لنا إعلان يوم عيد الفطر السعيد، لكن الوقت طال وحان موعد الإفطار، وعندها قمنا لتأدية الصلاة جماعة بإمامة الخامنئي، وبعد الانتهاء من الصلاة سألنا سماحته عن السبب الذي أدى بنا إلى البقاء في المكتب حتى هذه الساعة، فأخبرناه بأننا مضطرون للبقاء حتى نتأكد من الرؤية، ونقف على حركة الهلال في المدن والقرى المختلفة، عندها قال لنا: بأننا سوف نكون ضيوفاً عليه في منزله ونتناول الإفطار معه، فقلنا له: بأن الطعام جاهز في المكتب ولا نريد أن نثقل عليكم، فأصرّ على دعوتنا، فذهبنا معه واجتمعنا الى مائدة الإفطار التي كانت تحتوي على وعاء من حساء الخضار وآخر

من الجبنة وحلوى إيرانية خاصة بشهر رمضان المبارك. أكلنا قليلاً بانتظار الطبق الرئيسي الذي لم يأت، عندها عرفنا من الخادم بأن هذه هي وجبة الإفطار عنده. مع أن الإفطار الذي أعدّ لنا في المكتب كان يحتوي على أصناف عديدة، ولكن الإفطار في حضرة السيد له نكهة أخرى.

عندما انتهى الإمام من طعامه وخرج، سألنا الحاج ناصر الذي كان يعمل عنده عن سبب هذا الطعام البسيط؟ قال بأن زوجة السيد ذهبت إلى مدينة مشهد المقدسة، وقبل سفرها أحضرت كمية من الحلوى تكفي لأربعة أو لخمسة أيام، ونحن نفطر على هذه الحلوى كل ليلة. فسألناه عن وجبة السحور، فقال: في السحور أطبخ «ماء لحم» (إن هذه الوجبة هي أكلة إيرانية تقليدية تحتوي على لحم موزات وماء وقليل من الحبوب)، ونتسحّر عليه.

حادثة رواها الدكتور حداد عادل

حادثة أخرى شبيهة بما قبلها يرويها الدكتور حداد عادل عندما كان في لقاء مع الإمام الخامنئي، حيث طالت الجلسة إلى ساعات متأخرة من الليل، فاستبقاه سماحته على العشاء، وقال له: سنتعشى بما هو موجود في المنزل. فاتصل بزوجته وأخبرها بأن الدكتور حداد عادل سوف يكون معنا على العشاء هذه الليلة. يقول حداد عادل إنه أحسَّ بأن الطعام الموجود لا يكفي إلا لشخص واحد، فطلب سماحته من زوجته أن ترسل طبق العشاء مع بعض الخبز والجبنة واللبن، وهكذا كان، فبعد ربع ساعة

جاؤوا بصحن من الأرز ومقدار قليل من اليخنة بالإضافة إلى الخبز والجبنة واللبن، فكانت هذه هي وجبة العشاء.

يروي آية الله السيد محمود هاشمي الشاهرودي أنه دخل يوماً إلى مكتب الإمام الخامنئي الموجود في منزله وفوجئ بأن الأغراض الموجودة في المكتب من طاولة وكراسي وغيرها قديمة جداً، ويعود عمرها إلى مرحلة ما قبل الثورة الإسلامية ولم يتمَّ تبديلها بما هو أحسن وأجدّ.

يقول الدكتور حداد عادل بأن الإمام طلب يد ابنته لابنه السيد مجتبى، وقال له بأن الأولاد اتفقا على الزواج فما رأيك أنت؟ فأجابه الدكتور حداد عادل بأن هذا شرف كبير لنا وأمرنا جميعاً يعود إلى سماحتكم.

عندها قال سماحته للدكتور حداد عادل بأنك أنت وزوجتك من أساتذة الجامعة ومستوى معيشتكم أحسن منا بكثير، لأنني لا أملك من مال الدنيا سوى كتبي ومنزل صغير يحتوي على غرفتين، واحدة لي ألتقي فيها بالمسؤولين والأخرى للعائلة، وهذا الأثاث البالي وسيارة وإن كانت قديمة جداً. ولا أملك المال كي أشتري شقة للسيد مجتبى، فأنا أريد أن أستأجر بيتاً بطابقين طابق للسيد مصطفى وطابق للسيد مجتبى، فهل ابنتك مستعدة أن تتكيف مع حياة مثل حياتنا؟

يقول السيد حداد عادل: لقد فرحت بسماع كلام جميل كهذا، حيث نقل الكلام حرفياً إلى ابنته التي وافقت على الفور وزُفَّت إلى السيد مجتبى.

طلب غير قابل للتحقّق

يقول السيد هادي مروّي: منذ عدة سنوات جاء سماحة الشيخ عباس حجتي الذي يعتبر من الخطباء والواعظين، وهو من الأصدقاء القدامى للإمام الخامنئي، وذكر أن بيته بدأ يتصدّع ويحتاج إلى ترميم، كلفته التقريبية أربعة ملايين تومان أي ما يعادل ٢٥٠٠ دولار وأريد من الإمام أن يدفع هذا المبلغ لي من ماله الخاص وليس من بيت المال. ولمّا نُقل الخبر إلى الإمام أجاب سماحته: «**بأنه لا يملك هذا المبلغ، وأنه بعد انتصار الثورة باع بيته في مشهد واشترى بيتاً في طهران فاضطر أن يأخذ قرضاً ليكمل ما تبقّى من قيمة المنزل في طهران، وبأنه انتهى للتوّ من تسديد القرض، لذلك فهو لا يملك ٢٥٠٠ دولار كي يدفعه لذلك الصديق**».

وهنا يجب الانتباه إلى نقطة هامة وهي أنّ هناك فرقاً بين الشخص الذي يختار حياة بسيطة لأنه لا يملك القدر الكافي من المال كي يغيّر نمط حياته ويعيش حياته مرفهاً ومترفاً، وبين الشخص الذي هو وليّ أمر المسلمين الذي بيده جميع مقدرات البلاد، ولكنه يختار هذه الحياة التي فيها الكثير من الزهد والبساطة. إن القيمة العظيمة تكمن هنا في هذا النوع من الأشخاص الذين يستطيعون أن يعيشوا الحياة كما تعيشها الملوك والسلاطين، ولكنهم ومن تلقاء أنفسهم يختارون الحياة البسيطة. إن الإمام الخميني رحمه الله والإمام الخامنئي أخذا من أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قدوة لهما في الحياة، فاختارا العيش كما كان عليه السلام يعيش.

مرحوم السيد أحمد: إن الإمام الخميني ﷺ لم يكن يسمح بإدخال خط الهاتف إلى منزله، فإن زوجته عندما كانت تريد أن تتحدث إلى أولادها الموجودين في إيران، كان عليها أن تقف ساعات طوالاً في حرارة الشمس الحارقة في النجف الأشرف لتنتظر دورها في مركز الهاتف وتجري مكالمتها الهاتفية. نجل الإمام السيد أحمد الخميني يتذكر تلك الفترة قائلاً:

كان الإمام ﷺ يؤكد على السيدة الوالدة بأن لا تستعمل جهاز الهاتف الموجود في مكتبه لإجراء مكالمات شخصية. عندها كتب السيد أحمد إلى والده بأنه سوف يقوم بدفع الفواتير العائدة للهاتف إلى رئيس مكتب الإمام آية الله بسنديده، ولكن جوابه جاء على الشكل الآتي:

«لا أريد أن أسمع أي شيء حول موضوع الهاتف، ولا أحد له الحق أن يدّعي بأنه قادر على تسديد الفواتير، لأن المال الذي بين أيدينا هو حقّ الناس فنحن ملزمون بالمحافظة على الحقوق الشرعية وعدم التمادي في استعمالها».

دروس وعِبَر

يقول أحد موظفي بيت الإمام في النجف: ذات يوم كان الإمام يريد أن يشارك في تشييع جنازة أحد العلماء الكبار الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى. فقررنا أن نستأجر سيارة لتقلّ الإمام إلى مكان التشييع لأن الحرارة العالية يمكن أن تلحق الأذى بصحته. فركب السيارة وشارك في التشييع وعند الانتهاء أوصلناه

إلى المنزل، وهكذا بقيت السيارة معنا مدة ساعة، فدفعت ديناراً واحداً لصاحب السيارة.

وبعد عدة أيام قدمت فاتورة السيارة إلى الإمام فانتقدني على المبلغ الذي دفعته قائلاً: أنت لا تحتاط في دفع الأموال، فقلت له بأنني استأجرت سيارة كاملة كي لا تنتظر في الشمس، فأجاب: «إنني مثل غيري أنتظر كما ينتظرون».

مسؤول شراء أغراض بيت الإمام الخميني ﷺ يقول: ذات يوم في النجف الأشرف طُلب إليَّ أن أشتري عباءة للإمام، فجئت إلى الخياط لأختار العباءة المناسبة، وكان هناك نماذج عديدة من الأقمشة المناسبة لذلك، فذهبنا أنا والخياط إلى محضر الإمام، ليختار هو العباءة التي تناسبه، فما كان منه إلا أن اختار النوع الرخيص الذي لم أكن لأختاره أبداً لو تُرك الأمر لي. إنه كان دائماً نظيف الملبس، مرتب الهيئة، ولكنه وحرصاً على المحافظة على الحقوق الشرعية لم يكن يشتري ويلبس إلا أرخص الأثواب.

رواية آية الله لنكراني في وصية نجل الإمام الخميني:

يصف المرحوم آية الله لنكراني درجة مراعاة الإمام الخميني ﷺ لبيت المال فيقول: إنّ أكثر ما أثّر في نفسه هو وصية نجله المرحوم السيد مصطفى، فهذه الوصية يجب أن تتداولها الأجيال لتكون عبرة ليس فقط للشعب الإيراني بل أيضاً للعلماء الأفاضل.

يقول نجل الإمام المرحوم السيد مصطفى في وصيته: بأنه لا يملك من مال الدنيا شيئاً، فكل ما أملكه هو عدد من الكتب التي أحتاجها في قراءاتي المختلفة. وهذه الكتب اشتريتها من الحقوق الشرعية العائدة لسهم الإمام، فإذا أصبح أحد أولادي رجل دين، فهذه الكتب تعود إليه وإلا سأقدمها لمكتبة السيد البروجردي.

هذه الوصية حُفرت في أعماقي. فرجل كهذا يتمتع بكل هذه الصفات العالية والمزايا النادرة، وهو بوصفه إمام هذه الأمة وكل شهر يقدم الملايين من الأموال إلى طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ومدينة قمّ المقدسة، بينما أولاده لا يملكون أي شيء من مال الدنيا. فقط بعض الكتب وذلك للاستفادة العلمية منها. هذه دروس وعِبر يجب التوقف عندها ملياً أفراداً وجماعات.

قدسية الحقوق الشرعية لدى الإمام الخامنئي

كما يروي السيد هادي مروّي أن الإمام الخامنئي تلقى ذات يوم هدية عبارة عن عباءة غالية الثمن. فقال سماحته بأنه لا يرتدي عباءة بهذا الثمن، كما أنه لا يريد أن يهديها إلى أحد كي لا يصبح ارتداء عباءة من هذا النوع أمراً عادياً عند الناس، فطلب منا أن نبيع العباءة ونشتري بثمنها عدة عباءات ونوزعها، وبالفعل فقد بعنا العباءة واشترينا بثمنها أربع عباءات وأهديناها لأربعة طلاب يدرسون في الحوزة العلمية.

ويذكر السيد مروّي أيضاً أن أحد العاملين في مكتب الإمام



الخامنئي أخبره بأن سماحته دفع له ذات يوم مبلغاً لا بأس به من المال، وطلب منه أن يضيف هذا المبلغ إلى ميزانية المكتب كبراءة ذمّة عنه لاستعماله أغراض المكتب من هاتف... إلخ.

ويقول: إن عدم طبع كتاب توضيح الرسائل (الرسائل العملية) من قِبَل سماحة السيد سبّب مشكلة كبيرة نظراً لكثافة الطلب عليه من داخل إيران وخارجه، والإقبال على معرفة الأحكام الشرعية والاستفتاءات اليومية حول المسائل الشرعية التي كانت تصل من هنا وهناك. لذلك اضطررنا إلى أن نكلّف ستين شخصاً من رجال الدين بأن يتّصدوا للإجابة على الأسئلة الشرعية التي تُطرح كل يوم من قِبَل مقلّدين للإمام. فما كان من أحد رجال الدين إلاّ أن نبّهنا إلى أنه في خارج البلاد الناس تتواصل مع مرجعها من خلال كتاب الرسالة العملية، وفي الخارج هناك رجال أعمال متموّلون يقلّدون الإمام وهم ملتزمون بدفع حقوقهم الشرعية، فإذا لم يُطبع كتاب الرسالة العملية، فإن الناس سوف ترجع عنه وتلجأ لمرجع آخر وتمارس أحكامها الشرعية معه. فيقول بأنه نقل وجهة النظر هذه إلى الإمام، الذي قال: **«إن الهدف الأساسي من إخراج الحقوق الشرعية هو أن تُدفع لمستحقيها، سواء كان ذلك من خلالي أو من خلال أي مرجع آخر يقوم بهذه المهمة الشرعية الملقاة على عاتقه»**.

عائلة الإمام تتكيَّف مع وضعه راضيةً قانعة

أما عائلته فهي أيضاً متكيِّفة مع وضعه وتواكب الحياة البسيطة معه خطوة بخطوة. فلا يعنيها من مظاهر الدنيا وزخارفها

شيئاً. يقول الإمام بأنه في الأيام التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية كان منشغلاً كثيراً بالمسؤوليات التي كانت ملقاة على عاتقة والمهمات التي كانت مطلوبة منه، لذلك لم يكن يتواجد في المنزل كثيراً، ما أثّر سلباً على أولاده من الناحية النفسية. ولكن سماحته يقول: «**بأنه عندما تصدّيت لمهمة القيادة، قررت أن أعطي وقتاً أكبر للبيت كي أعوّض هذا الخلل، فطلبت من الأخوة الموجودين في المكتب أن يشتروا لي كنبة تتّسع لشخصين حتى أجلس عليها (لأنني أعاني من مشكلة في ظهري تمنعني من الجلوس على الأرض) وأمارس عملي من قراءة التقارير والمراسلات... إلخ**».

ويقول الإمام: «**بأنه ذات يوم عند عودته إلى المنزل رأى أن زوجته وضعت الكنبة خارجاً فسألها عن السبب، فأجابته بأنهم ومنذ اليوم الأول في حياتهم الزوجية لم يستعملوا مثل هذه الكنبة وكانوا دائماً يعيشون حياة كحياة طلاب العلوم الدينية، وهي الآن لا تريد أن تغير نمط حياتها ولا تريد لهذه الكنبة أن تكون موجودة في منزلها. فأجابها سماحته بأنه اشترى هذه الكنبة من أمواله الشخصية وليس من بيت مال المسلمين، وكان الهدف من ذلك أن يتواجد في المنزل فترة أطول. عندها أجابته السيدة زوجته بأنها تقبل بذلك طالما المبلغ لم يُدفع من بيت المال وأن الهدف هو التواجد في المنزل لفترة أطول ولتصحيح الخلل الحاصل مع الأولاد كي يشعروا بوجود الوالد معهم فترة أطول**».



وفيما بعد عُرف من السيد هادي مروّي أن هذه الكنبة لم

تكن جديدة بل كانت مستعملة وقد تمّ ترميمها وتنجيدها ومن ثم نقلها إلى مكتب الإمام في بيته.

يقول السيد هادي مروّي بأن الإمام الخامنئي عندما كان رئيساً للبلاد، سافر إلى إحدى الدول، حيث أهداه رئيس تلك الدولة هدية هي عبارة عن طقم أوانٍ من الزجاج الصيني، فعندما رجع من رحلته، وقدّم الهدية لزوجته، لم تقبل منه هذه الهدية، فقال لها بأن هذا الطقم ليس مصنوعاً من الذهب أو الفضة كي يكون الأكل فيه حراماً، وأنه من زجاج وكلفته ليست عالية، فردَّت زوجته بأن الطعام الذي يأكلونه لا يتناسب مع هذه الأواني، وأنها تحس بلذة الطعام وبطعمه اللذيذ أكثر من تلك الأواني التي تستعملها في منزلها.

والجدير بالذكر أنّ الإمام حالياً يقدّم كل هدية تُهدى اليه وكذلك عندما كان رئيساً للبلاد إلى متحف الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المقدسة حيث خُصّصت زاوية معينة لتلك الهدايا.

٧ ـ الانقياد للولاية:

يحتل البحث عن الولاية في نظام القيم الإنساني مكاناً عالياً وهاماً وذلك للدواعي التالية:

أولاً: لا يقتصر مفهوم الولاية على الإطار الديني فقط بل هو موضوع يرتبط بالبشرية جمعاء خصوصاً عندما يرتقي الإنسان إلى حالة وجدانية وروحية عالية يشعر فيها بأنه لا بديل من ولاية الله (سبحانه وتعالى). هذا مع العلم بأن الإنسان يكون على

الدوام تحت ولاية وليّ، ولا يمكن أن يجتمع الناس بدون حضور ولاية أحد من الأولياء عليهم.

ثانياً: الخوض في مفهوم الولاية في ظروف كهذه، يفرض علينا موقفين اثنين: الأول هو أن نحدد موقفنا من القوى المستكبرة في هذا العالم، والثاني هو أن نحدد أين نحن من ولائنا للنهج الإلهي المتمثّل بتمسّكنا بالله (سبحانه وتعالى). فموقفنا من هذا المفهوم الذي يترجم في أعمالنا وسلوكنا وأدائنا اليومي هو الذي يحدد موقعنا من الخالق (سبحانه وتعالى)، هل نحن قريبون منه أم بعيدون عنه، وبهذه الطريقة فقط يستطيع الإنسان أن يحدد مدى إيمانه بالله (عزَّ وجل)، ذلك أن درجة الإيمان بالله تتحدّد بدرجة الطاعة له (سبحانه وتعالى).

ثالثاً: الولاية ليست أمراً إسلامياً فقط، بل هي تُطرح في جميع الأديان السماوية؛ ولذا عندما ندرس ونفكّر في الآيات القرآنية نجد أن القرآن الكريم لم يتطرّق إلى مفهوم الولاية كمفهوم إسلامي بحت، بل يعتبرها من المسائل المحورية التي تعترف بها الأديان السماوية كافة.

رابعاً: الدور المحوري للولاية سواء كان ولاية الله أم ولاية الطاغوت في إخراج الناس من الظلمات إلى النور وبالعكس، وهذا ما نستفيده من الآيات القرآنية في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم...﴾؛ فإنّ هذه الآية تجعل لنا مقارنة بين ولاية الله وولاية الطاغوت، بأن الإنسان المؤمن يصل أمره إلى النور على عكس الكافر الذي ينتهي إلى الظلمات. والعامل هو الولاية لأن الكفر لا ينمو ولا يتسع إلا في بيئة ظالمة وطاغية.

إذن، فمنشأ الصراع الدائم بين الأنبياء والطغاة هو ولايتهم على الناس. توضيح ذلك، أن مهمة الأنبياء (وفقاً للقرآن الكريم) تكون في أمرين وهما: إبلاغ الوحي الإلهي إلى الناس، وتنفيذ الأحكام على المجتمع الإنساني من خلال تأسيس الحكومة والولاية وبالطبع وجوب طاعتهم في ذلك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ...﴾[1]. فالطغاة لا يريدون أن يكون النبي رئيساً ولا مسؤولاً، بل أن يكتفي بإرشادات أخلاقية واجتماعية، حتى يستطيع كل واحد أن يفعل ما يشاء. وهذا ما يرفضه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ...﴾.

ويعتبر عدم قبول ولايتهم السبب الأساس في انحراف المجتمعات. وهذا الأمر جرت الإشارة إليه في آيات متعدّدة منها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[2].

وكان جواب الكافرين:

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾[3].

عندما جاء نبي الله نوح عليه السلام يعرض رسالته على الناس،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢٣.
(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

ويتحدث عن وحدانية الله (سبحانه وتعالى)، وعن وجوب عبادته والالتزام بتقواه، لم يسأل أحد من هو هذا النبي، وما هي الرسالة التي يدعو إليها، وما هو معنى التوحيد والعبودية؟ لم يكن يهمهم من كل هذا إلا شيء واحد وهو الرفض المطلق أن يكون هذا المرسل ولياً، وعليهم أن يتّبعوه. فاعتبروه واحداً مثلهم يريد أن يمارس عليهم الأفضلية ويطرح نفسه عليهم زعيماً ورئيساً. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ...﴾ يقولون لو شاء الله ذلك لأنزل علينا ملكاً، لأن الملك هو من جنس آخر ومن الأسهل علينا تقبّله. ولكن كيف لنا أن نقبل بأن يكون شخص مثلنا ولياً علينا؟

ثم يقول القرآن: لم يكن هذا يختص بقوم نوح فقط بل: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1].

لقد خلقنا أناساً آخرين فكان هناك مجتمعات أخرى بُعث إليهم رسول (لم تذكر الآية اسم الرسول) إلى المجتمعات الأخرى التي قامت فيما بعد؛ ورسالته تشبه إلى حد كبير رسالة نوح عليه السلام؛ أي رسالة التوحيد والعبودية والتقوى. ما هو الاعتراض الآن، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[2]، ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾[3]. ويبدو هنا بوضوح أن السبب الكامن وراء

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٣١ و٣٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٣٣.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٣٤.

اعتراض القوم وعدم تقبل النبي المرسل إليهم، هو رفضهم الخضوع لأوامره، وما عدا ذلك فلا مشكلة لديهم معه.

هنا نلاحظ أن الرفض والاعتراض يعود إلى شيء واحد، وهو عدم تقبل الولاية، فلا أحد رفض هذا النبي لهذا السبب والنبي الآخر لذاك السبب، المشكلة واحدة لدى الجميع: عدم قبول الحق والرضوخ لأوامره.

ولذا سنرى كيف أن آخر كلام ينتهي به هذا النبي هو كآخر كلام انتهى به النبي نوح عليه السلام أي: ﴿... رَبِّ انصُرْنِي...﴾، ثم يقول (سبحانه وتعالى) بأنه أنزل البلاء ثم أتى بقوم آخرين، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾[1]، أي أتى بمجتمعات أخرى. ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، أي أنهم كذبوا كل الأنبياء، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[3]، بعث الله (سبحانه وتعالى) موسى وهارون ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾[4]، أي أنهم كانوا من المستكبرين. ماذا قالوا؟ لقد جاؤوا بدليل آخر؟ ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[5]، هل تريدوننا أن نؤمن ببشر مثلنا، فهم بدل أن يؤمنوا بالرسالة، شكّكوا بالمرسل،

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٤٢.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٤٥.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٤٦.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٤٧.

واعترضوا على النبي الذي سوف يكون ولياً عليهم. كما أنهم هنا يضيفون اعتراضاً آخر ويقولون: كيف تريدوننا أن نخضع لشخص كان قومه عبيداً لنا؟!

فالمشكلة بين الأنبياء ومخالفيهم من الطغاة وغيرهم ترجع إلى التبعية والولاية. ولو كان دور النبي ينحصر فقط في إيصال الرسالة السماوية، أو العمل على نشر الأخلاق والقيم الإنسانية السامية فعندها سيكون مقبولاً من الجميع. حتى إن اسمه سوف يدخل التاريخ ويخلّد فيه. مثال على ذلك، لا أحد يختلف أبداً مع الأدباء والشعراء والفلاسفة، والمفكرين وغيرهم، ولا أحد يرفع عليهم السلاح، ولا أحد يحاول التعرُّض لهم، لأنهم يقولون فكرتهم والآخرون أحرار في قبول ذلك أو رفضه.

لقد كان لقمان الحكيم واحداً من الأشخاص الذين لم يتعرضوا للانتقاد والرفض والتنكيل؛ مع ذلك نلاحظ أن أكثر الأنبياء ماتوا قتلاً ولم يسلموا من ظلم الناس لهم.

خامساً: لقد أتاح الإسلام دوراً مركزياً ومحورياً للولاية الإلهية التي تجري من خلال أولياء الله. وقيَّد إيمان الشخص بقبول ولاية وليّ الله وترك ولاية الطاغوت (وهو كل حاكم ليس حكمه من الله ومن الشرع الإسلامي). هذا هو المستفاد من القرآن الكريم، والروايات المأثورة عن المعصومين؛ ومنها ما يلي:

١ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى الطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن

يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[1]. يقول الله (سبحانه وتعالى) بأنهم يظنون أنفسهم مؤمنين، ولكننا نعلم بأنهم ليسوا بمؤمنين لأنهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾.

٢ ـ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي أنهم لم يؤمنوا حتى ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2].

٣ ـ قال الباقر عليه السلام: «لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وحج جميع دهره وتصدّق بجميع ماله ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ما كان له على الله حقّ ثواب ولا كان من أهل الإيمان».

السر في ذلك أن الولاية وطاعة ولي الله هي مظهر التوحيد العملي. ذلك أن التوحيد له مراتب أربع وهي: التوحيد الذاتي والصفاتي والأفعالي والعبادي. ومحل نزاع وخلاف المشركين والكفار مع الأنبياء هو في التوحيد العبادي؛ وإلّا ما خالفوا رسول الله في أن الله هو الخالق السموات والأرض: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ...﴾[3]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ...﴾[4]، وفي أن الربوبية للكون فهي أيضاً لله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٣.

﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ...﴾[1]، ولكن عندما وصل الأمر إلى العبودية لله التي تتجلى في طاعة وليّ الله جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً.

طبعاً العبودية لله التي هي الطاعة، تتجلّى في طاعة من نصبه الله للولاية وهو الرسول الأعظم ﷺ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾[2]، و﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3]، و﴿...وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ...﴾[4]، فإنه (تبارك وتعالى) ربط طاعته بطاعة أوليائه.

وبعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[5]، ثم تنتقل الولاية من بعده إلى المعصومين. وفي هذا الزمان فإن الولاية لإمام العصر(عج)، وفي زمن الغيبة فهي للفقهاء الواجدين للشرائط وهي التي نعبر عنها بولاية الفقيه.

وهنا نذكر النقاط التالية:

١ ـ القول بعدم ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية في عصر

---

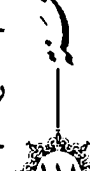
(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٨٦ ـ ٨٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٥) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ و٥٦.



الغيبة ينافي الاعتقاد بخاتمية النبي ﷺ وبأن الأوامر والمحرمات والحدود والأحكام الاجتماعية التي أتى بها النبي ﷺ تستمر إلى زمان ظهور الحجة. وإلى ذلك فإن قولاً كهذا ينافي الاعتقاد المجمع عليه بين المسلمين من أن: «**حلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة**».

٢ ـ روح ولاية الفقيه يرجع في الحقيقة إلى ولاية الفقه، والتولي بولاية الفقيه هو التولي بولاية الفقه والعدالة. ولذا لا يستثنى الفقيه الحاكم من الأحكام الحكومية الصادرة؛ ولو تخلَّف عنها لَعُزِل عن الولاية بسبب سقوط عدالته التي هي شرط ولايته بها. بعبارة أخرى: ولاية الفقيه هي حاكمية مجموعة من الشروط: الفقاهة، والعدالة، والتقوى، والعقلانية، والتدبير؛ وإلّا فليس لأحد ولاية على الآخرين. فإن الولاية لله فحسب. فطاعة الولي الفقيه هي طاعة الدين والأحكام الدينية وليس إطاعة الشخص بل هي إطاعة الشخص المتخصص في الدين؛ وهي بالتالي بمثابة الرجوع إلى المتخصص، ومثل هذا الرجوع لا ينافي حرية المراجِع. كما عندما نراجع الطبيب، فليس ذلك معناه سلب الاختيار عنه كما أنه ليس تعطيلاً لعقل المراجِع.

٣ ـ الانقياد والطاعة في ولاية المعصوم أمرٌ مطلق، بمعنى أنها تشمل الجوارح والجوانح لأن المعصومين لا وجود لأيّ خطأ في فكرهم ولا في أقوالهم، ولا في أعمالهم بل وحتى في رضاهم وغضبهم، فكلما كان اتّباعنا لهم أوسع وأشمل تكون خطايانا أقل، ولذا ورد عنهم: «**رضانا رضى الله**». وفي شأن فاطمة الزهراء عليها السلام: «**إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى**



لرضاها». وهذه الرواية ليست خاصة في شأن فاطمة بل هي من باب تنقيح المناط نجريها في شأن جميع المعصومين لأنهم جميعاً من نور واحد. أما بالنسبة إلى الوليّ الفقيه فالأمر مختلف، ذاك أن الانقياد المطلوب منه يقتصر على أوامره الحكومية، أما في الأحكام الفردية فإذا كان الشخص مقلداً له فيقلده في ذلك، وإلّا فيتبع مرجعه الديني. وأما في الفكر وسواه فليس الانقياد واجباً إلّا إذا حصل لك الاطمئنان بصحته.

٤ ـ وجوب الانقياد للوليّ الفقيه لا يختص بغير المجتهدين، بل وجوبه يشمل الفقهاء حتى المراجع الدينية أيضاً. وذلك لأن الإسلام يستنكر بشدة الهرج والمرج في الحياة الاجتماعية؛ كما أن وجوبه يشمل بالطريق الأولى مقلدي سائر الفقهاء.

الإمام الخميني ﵀ والإمام الخامنئي كانا ينقادان لوليّ أمرهما، أما الإمام الخميني ﵀ فكان في عصر زعامة آية الله البروجردي ﵀ وكان يحترمه كثيراً ومنقاداً له. يقول آية الله كرامي، من طلاب الإمام ﵀:

في فترة مرجعية آية الله العظمى السيد البروجردي ﵀، كان الإمام ﵀ يلقي محاضرة في مسجد سلماسي، فكنت أنا أيضاً موجوداً هناك، فدار حديثه حول كيفية التغلب على هوى النفس، ثم قال: **«لماذا لا نريد أن ننحني أمام شخص يحمل راية الله»؟** في إشارة إلى الأشخاص الذين لم يحفظوا حرمة السيد البروجردي. ولهذا السبب نلاحظ أن الإمام ﵀ في فترة مرجعية السيد البروجردي، لم يطلق فتاوى شرعية ولم يقدم رسالته العملية.

لقد كان الإمام الخامنئي منقاداً انقياداً تاماً لولاية الفقيه التي كانت تتمثل في ولاية الإمام الخميني ﷺ، وكان يعطي الأولوية لما يقرره الإمام بما يخدم المصلحة العامة على آرائه وقراراته الشخصية. فعندما انتُخب الإمام الخامنئي رئيساً للجمهورية في الدورة الثانية، لم يكن يجد من المصلحة تجديد ترشيح مير حسين الموسوي كرئيس للوزراء، وأخبر الإمام الخميني عن رأيه في الموضوع، فكان رأيهما متوافقاً، لكن لأسباب معينة لم يخالف الإمام تجديد الترشيح لمير حسين موسوي، وأصبح الموسوي رئيساً للوزراء مرة أخرى. كان موقف الخامنئي صعباً ويعتبر نوعاً من التراجع، لكن انقياده التام لأمر القيادة جعله يعتبر ما قرره الإمام الخميني مقدماً على موقفه وقراراته.

وعندما وصل النزاع السياسي بين الإمام الخامنئي وبني صدر إلى ذروته، طلب الإمام الخميني من الطرفين التزام السكوت لفترة، فانصاع الإمام الخامنئي لأوامر الإمام، لكن بني صدر لم يكن يتوانى عن توجيه التهم إلى الإمام الخامنئي والشهيد بهشتي... إلخ، لكنهم لم يدافعوا عن أنفسهم في ردّ هذه التهم الموجهة لهم اتباعاً لأوامر الإمام والقيادة التي أمرتهم بالتزام السكوت.

٨ ـ الاعتدال والوسطية:

من الصفات التي يتصف بها المجاهد بالجهاد الأكبر الاعتدال في سلوكه والابتعاد عن المعاصي؛ فالإسلام دين الوسطية والاعتدال حيث لا إفراط فيه ولا تفريط؛ ولقد وصف

سبحانه الأمة الإسلامية بالوسطية في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾[1]، والجعل الإلهي هو أمر بالوسطية والمنهج الوسط في كل شأن من شؤون الحياة. وهو (تبارك وتعالى) لا يكتفي بهذا، بل يحذّر المسلمين من الذهاب إلى أحد الانحرافين: الغلوّ أو التقصير والإفراط والتفريط، وهذا الأمر يكرره المسلم مرات عدة كل يوم خاصة في الصلاة حيث نجد في خاتمتها ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. وفي الروايات المأثورة عن المعصومين أمر الناس بالاعتدال والاجتناب عن الإفراط والتفريط وجعلهما من علائم الجهل؛ فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: **«الجاهل إما مفرط أو مفرّط»**.

ويقول عليه السلام: **«عَليكَ بِالْقَصدِ فِي الأُمورِ فَمَنْ عَدَلَ عَنِ الْقَصدِ جارَ وَ مَنْ اَخَذَ بِهِ عَدَلَ»**[2].

وقال أيضاً: **«الْيَمينُ وَالشِمالُ مَضَلَّةٌ وَالطَّريقُ الْوُسطى هِيَ الجادَّةُ»**[3].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: **«لَيْسَ مِنّا مَنْ تَرَكَ دُنياهُ لِدينِهِ وَدينَهُ لِدنياهُ»**[4].

والاعتدال والوسطية مطلوب الشارع المقدس في كل الأمور حتى الإنفاق ففي القرآن ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ...﴾[5].

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(2) شرح غرر الحكم، ج٥، ص٢٩١.
(3) نهج البلاغة، خطبة ١٦، ص٦٩.
(4) تحف العقول، ص٤٣٣.
(5) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

من مظاهر الخروج عن الاعتدال الإسراف والتبذير

وفي هذا المجال يقول الراغب الأصفهاني: «السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان». ويقول آخرون: الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي. بخلاف التبذير؛ فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي. فالإسراف هو الزيادة في الاستهلاك والتبذير هو إتلاف المال وإفساده.

وقال أبو هلال العسكري: «الإسراف: تجاوز الحد في صرف المال. والتبذير: إتلافه في غير موضعه، هو أعظم من الإسراف، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[1]».

قيل: وليس الإسراف متعلقاً بالمال فقط، بل بكل شيء وُضع في غير موضعه اللائق به.

ألا ترى أن الله سبحانه وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث، فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[2]، ووصف فرعون بالإسراف بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[3].

والخلاصة: فيما يتصل بالإسراف والتبذير أن بينهما عموماً

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨١.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٣١.

وخصوصاً إذ قد يجتمعان فيكون لهما المعنى نفسه أحياناً، وقد ينفرد الأعم وهو الإسراف.

الإسراف والتبذير داء فتاك يهدد الأمم والمجتمعات، ويبدّد الأموال والثروات، وهو سبب للعقوبات والبلاءات العاجلة والآجلة. يقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[1].

فأخبر سبحانه أنه لا يحب المسرفين وكفى بهذا زاجراً ورادعاً عن الإسراف، أن تسلب عنك محبة الله وأن يجلب عليك سخطه ومقته، وأي خير يبقى للإنسان، ومفهوم الآية الكريمة أن الله يحب المقتصدين المعتدلين؟!

وإذا كان الإسلام قد حذَّر من الإسراف والتبذير فهذا لا يعني أنّه قد منع إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، أو أنّه منع الإنسان من الاستفادة من لذائذ الدنيا وطيّباتها حيث قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[2].

بل المقصود هو أن يعتدل الإنسان ويقتصد في عمليّة الإنفاق وخصوصاً في ما يتعلّق بأموال بيت المسلمين (وأموال العمل الإسلامي..)، كما لو أراد الإنسان من موقعه ومسؤوليته أن يكرّم العاملين لديه، فليس له أن يبذخ ويعطي ويقدّم الهدايا والعطايا بلا حدود. فإنّ أهم ما يجري فيه الإسراف والزيادة هو النفقة بألوانها وأشكالها المختلفة، فكم من شخص لا يُسرف

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

في شرائِهِ الشخصي للأشياء والمُتع، غير أنّه يُسرفُ ويُفرِطُ عندما يُنفِقُ من المال العام.

لقد حذّر الإسلام من الإسراف والتبذير إلى درجة أنه نهى عن الإسراف في ماء الوضوء حتّى لو كان على نهرٍ جارٍ. فقد ورد أنّ رسول الله ﷺ مرّ بسعد وهو يتوضّأ، فقال ﷺ: ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرفٌ؟ فقال ﷺ: **«نعم وإن كنت على نهرٍ جارٍ».**

قال النبي ﷺ: **«من اقتصد أغناه الله، ومن بذَّر أفقره الله».**

قال الصادق عليه السلام: **«إنما الإسراف فيما أتلف المال وأضرّ بالبدن. قيل: فما الإقتار؟ قال: أكل الخبز والملح وأنت تقدر على غيره»**[1].

وقال الصادق عليه السلام: **«من شرب من ماء الفرات وألقى بقية الكوز خارج الماء فقد أسرف»**[2].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: **«للمسرف ثلاث علامات؛ يشتري ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويأكل ما ليس له»**[3].

وينقل ابن ميمون عن الصادق عليه السلام قال: **«سمعت أبا عبد الله، يقول: ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر»**[4].

---

(١) مجموعة الأخبار، باب ١٧١، ح١.
(٢) مجموعة الأخبار، باب ١٧١، ح٣.
(٣) تفسير نور الثقلين، ج١؛ سورة الأنعام، ص٧٧٢.
(٤) الصدوق، الخصال، باب ١، ح٣٢.

وقال الكاظم عليه السلام: «إن الله (عزَّ وجلّ) يبغض القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال»[1].

وقال عليّ عليه السلام: «ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله»[2].

أنواع الإسراف:

لقد أباح الدين الإسلامي التمتّع بالنّعم الإلهيّة والاستفادة منها استفادة مشروعة، وحرّم الإسراف والتبذير. ولنا أن نوضح في هذا الصدد أن هناك ثلاثة أنواع من الإسراف تكون حرمتها حرمة مطلقة، لا تتحدد بالزمان أو المكان والفرد.

تضييع الأموال أو إتلافها، وإن قلّ مقدارها. مثل سكب الماء المُتبقي في الإناء في مكان يقلّ فيه الماء، حيث يمكن أن يسدّ هذا الماء حاجة الآخرين، وكذلك إتلاف أو رمي بعض الملابس التي قد يستفيد منها أصحاب الحاجة، وعدم إعطاء المأكولات لمن هو بحاجة إليها، بل إبقاؤها والاحتفاظ بها حتى تتلف، أو جعل المال تحت تصرّف من يحتمل إتلافه كالصغير وغيره، وغيرها من الموارد الأخرى.

روي: أنّه نظر الصادق عليه السلام إلى فاكهة قد رُميت من داره لم

(١) قصار الجمل، ص٣٠٥.
(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٢٦.

يستقصِ أكلها فغضب وقال: «ما هذا؟ إن كنتم شبعتم فإن كثيراً من الناس لم يشبعوا فأطعموه من يحتاج إليه»[1].

مع الأسف الشديد نجد اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية الكثير من الأطعمة والمأكولات الأخرى تُرمى في النفايات! مع وجود من هم بحاجة إليها. هناك الكثير من الروايات تنهي وتحذّر من رمي الأطعمة ولا سيما فتات الخبز.

تناول الأشياء المضرّة إسراف

من موارد الإسراف تناول المواد التي تضرّ بدن الإنسان من المأكولات والمشروبات وغيرها، مثل الضرر الذي يسببه الأكل عند الشبع. أما صرف الأموال فيما ينفع البدن ويقويه فهو مباح، وليس بإسراف.

صرف الأموال في المحرّمات إسراف

إنّ صرف الأموال في الأمور المحرّمة يعتبر إسرافاً، مثل شراء المسكر وأدوات القمار واستئجار الغواني، وكذلك إعطاء الرشوة إلى الحكّام والمسؤولين، وصرف الأموال لإيصال الأذى أو الظلم إلى الآخرين، وغيرها من الموارد الأخرى. هنا يكون الشخص قد ارتكب ذنبين، الذنب الأول أصل العمل المخالف للشرع، والثاني الإسراف.

(١) مجموعة الأخبار، باب ١٧١، ح٤.

من سيرة الإمام الخميني ومواقفه حيال الإسراف

يقول السيد رحيم ميريان: كان والد السيد منافي طبيب أسنان، ذات يوم جاء إلى بيت الإمام برفقة ابنه السيد منافي لمعالجة أسنان الإمام، وبينما كان الدكتور يداوي الإمام كان السيد منافي يعطي لوالده مجموعة تلو الأخرى من المحارم الورقية التي كانت في غرفة الإمام، ليضعها على أسنانه أثناء المعالجة، فعندما رأى الإمام ما يفعله السيد منافي أشار إليه بأن يسحب المحارم واحدة واحدة، أي بالترتيب، فأجاب السيد منافي: نعم كما تحب. في اليوم التالي عندما جاء الدكتور ليكمل العلاج، أعاد السيد منافي الكرّة، حيث كان يسحب المحارم من العلبة بشكل مجموعات، حينها قال الإمام للدكتور: «**قل لابنك أن يكفّ عن هذا العمل**».

حجّة الإسلام والمسلمين رحيميان: كان الإمام يقتصد في استخدام الكهرباء، حيث كانت غرفة استراحة الإمام ومطالعته تحوي ثلاثة مصابيح، أحدها مصباح فلورسنت، والآخر ١٠٠ واط والآخر ١٥ واط، وكان يستخدم الفلورسنت والمصباح الكبير عند قراءة القرآن أو مراجعة التقارير، وعند انتهائه من قراءة القرآن أو المطالعة كان يقوم بنفسه على الرغم من تقدمه في العمر ليطفئ المصباح الكبير، وعند الصلاة كان يكتفي بالنور الضئيل.

يقول السيد رحيم ميريان: اتّصل بي الإمام الخميني رحمه الله هاتفياً وطلب منّي الحضور، فعندما ذهبت إليه طلب منّي أن أطفئ مصباح الحديقة لأنّه كان مضاءً. وفي اليوم التالي ظلّ

المصباح مضاءً في النهار، فاتّصل الإمام مجدداً، وعندما ذهبت إلى محضره قال لي: «**إنْ كان يصعب عليك إضاءة المصباح وإطفاؤه، فليكن المفتاح في غرفتي فأضيئه ليلاً وأطفئه نهاراً بنفسي**»، فقلت: «لا يا سيدي لا يصعب عليّ ذلك». ومن بعد ذلك أصبحت منتبهاً للموضوع أكثر من قبل.

وفي أحد الأيام، كان الإمام جالساً على الكرسي للقاء الناس والوفود الآتية لرؤيته، وكان مصباح مكتب السيد رسولي مضاءً بالإضافة إلى مصباح آخر خلف باحة منزل الإمام قرب منزل السيد أحمد الخميني، حينها كنت واقفاً بجوار الإمام، فطلب منّي الاقتراب منه، ولما دنوت نحوه قال لي بغضب: «**بيتي وفعل الحرام؟ بيتي والإسراف**»؟ فقلت له وأنا ارتجف بشدّة: «ماذا حدث يا سيدي؟» فقال لي: «**كم مرّة يجب أن أقول لكم أطفئوا هذه المصابيح في النهار، ألا تعلمون أنّ الإسراف حرام**»؟!.

شهادات ممّن عايشوا الإمام الخميني تُظهر مدى حرصه على عدم الإسراف

يقول حجّة الإسلام والمسلمين فرقاني: عندما كان الإمام يستيقظ ليلاً للعبادة وأداء صلاة الليل، كان يطفئ مصباح غرفته قبل خروجه منها لأداء الوضوء، ومن ثمّ يضيء المصباح الخارجي، وعند العودة كان يعمل العكس، لكي لا يبقى مصباح مضاء بدون حاجة أو استفادة، أي إنه لم يكن مستعداً لإبقاء المصباحين مضاءين ولو للحظة واحدة.

مرضيّة حديده جي: في أحد الأيام،عندما كنت في نوفل لوشاتو قمت بشراء كيلويين من البرتقال بسبب رُخص ثمنه في السوق، ولمّا عدت رأى الإمام كيس البرتقال فقال متعجباً: «لِمَ اشتريت هذه الكمية من البرتقال؟»، فأردت أن أبرّر موقفي فقلت له: «لأنّه كان رخيصاً فاشتريت مقداراً يكفي لعدة أيام»، فأجابني قائلاً: **«أنت قد ارتكبت ذنبين، الأول، أنّك اشتريت أكثر من الحاجة، والآخر، أنك قد حرمت بعض من لم يأكل البرتقال بسبب غلائه، ربما كانوا يستطيعون شراءه الآن، لذلك يجب عليك إرجاع قسم منه».** فقلت له: «إعادته غير ممكنة»، فقال: **«إذن قومي بتقشير قسم منه وأعطيه لمن لم يستطع أكل البرتقال حتى الآن، بهذه الطريقة يمكن أن يغفر الله ذنبك».**

ويقول حجّة الإسلام والمسلمين قرهي: في يوم من الأيام عندما كنت أغسل الصحون في المطبخ، جاء الإمام إلى المطبخ وقال لي: **«لماذا حنفية الماء مفتوحة بشدّة»؟** مع أنني كنت وحسب ظنّي قد حرصت على فتح الحنفية قليلاً لئلاً ينسكب الماء بشدّة، لكنّه نبّهني ولفت نظري، لأنّه كان يدّقق في هذه الأمور كثيراً.

عندما كنت أقدّم إليه الخس أحياناً، كنت أُنظّف أطرافه وأفصل الأوراق الكبيرة المحيطة به، كان يقول لي: **«لا ترمي الأوراق التي فصلتها عن الخس»**، كنت أقول له: «كن مطمئناً يا سيدي سوف نصنع منها سلطة». عندما كان الإمام يخرج من

غرفته لأداء عمل ما، كان يُطفئ جهاز التلفاز أولاً ثم يخرج، وبعد رجوعه يُضيئه مرّة أخرى، لأنّه كان يتجنّب الإسراف[1].

ينقل لنا السيد رحيم ميريان فيقول: كان الإمام أحياناً يتصل بي هاتفياً في الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلاً ويطلب مني الحضور، وعندما كنت أذهب إليه كان يقول لي: «**إنّ هذه الحنفية تسرّب ماءً، لم أستطع منع تسرّب الماء منها، فأرجو أن تعالج الموضوع**». إن قلق الإمام كان بسبب ذهاب الماء هدراً وبدون فائدة، فكنّا نجهد في تأمين سدّاد بلاستيكيّ يمنع تسرّب الماء، ليستطيع الإمام أن ينام مرتاح البال، وإن عجزنا عن تهيئته ليلاً كنّا نؤمنه في أقرب فرصة من صبيحة اليوم التالي.

يقول حجة الإسلام السيّد حميد روحاني: جاء الإمام يوماً إلى المدرسة الفيضيّة لإقامة صلاة الجماعة، ولأنّه وصل قبل حلول وقت الصلاة، ذهب إلى إحدى غرف طلّاب العلوم الدينيّة، فعندما علم أحد الطلّاب بقدوم الإمام ترك غرفته ولم يُطفئ النور وجاء لرؤيته، فقال الإمام له: «**لماذا تركت مصباح غرفتك مُضيئاً**»؟ فأجاب أحد السادة الحاضرين قائلاً: يقولون بأنه لا إسراف في الإضاءة، فقال الإمام: «**إنّهم لا يقولون الحقيقة**»!

الدكتور محمود بروجردي: لا يمكنكم أن تجدوا مصباحاً واحداً مُضيئاً هدراً وبدون فائدة في بيت الإمام، فإذا كان الإمام يرى مصباحاً مُضيئاً بدون فائدة، كان لا يطلب من أحد بل يقوم

(١) مواقف خاصة من حياة الإمام الخميني(قده)، ج١.

من مكانه ليُطفئ المصباح حتى لو كان مشغولاً بلقاء بعض الشخصيات التي كانت تأتي لرؤيته. وعند وضوئه لم يكن يهدر قطرة ماء إضافيّة، فكان يغلق حنفية الماء بين أجزاء الوضوء، فحينما يتوضأ كان يغلق حنفية الماء ولا يفتحها إلّا وقت الضرورة، لكي لا تخرج قطرة إضافية واحدة بدون فائدة.

ويروي حجّة الإسلام والمسلمين صادق إحسان بخش: أن الإمام كان يجتنب الهدر والإسراف، فمثلاً عندما كانوا يقدّمون له كأساً من الماء ليتناول دواءه، كان يحتفظ بالنصف الباقي من الماء إن لم يشربه كلّه ليشربه لاحقاً، ولم يكن يرضى بسكب ما تبقى منه. فمنذ شبابه كانت هذه طريقة الإمام وسيره السلوكي لتهذيب نفسه.

ويقول حجّة الإسلام والمسلمين عبد العلي قرهي: كانت واجهة بيت الإمام في النجف الأشرف مظلمة، فلجأنا إلى وضع مصباح لإضاءتها، فقال الإمام: **«لا تضعوا مصباحاً هنا»**، لكنني تساهلت في تلبية طلبه، فطلبني، وعندما ذهبت إليه قال لي: **«أليس هذا المنزل منزلي؟ لا أريده أن يكون مضيئاً»**.

لم يكن ابتعاد الإمام الخميني واجتنابه عن الزيادة في الاستهلاك بسبب بخله بل لأنه فعل حرام، وإلّا لِمَا وهب عقاراته الموروثة إليه من أبيه إلى المزارعين.






الفصل الثالث

القيادة
وأسلوب الإدارة




دور قيادة الإمام الخميني رحمه الله والإمام الخامنئي في الثورة الإسلامية:

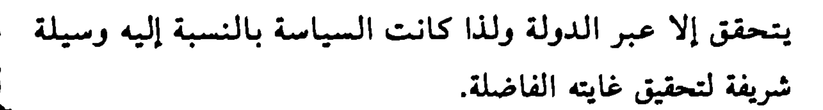
إنّ قيادة الإمام للثورة وللأمة وللدولة بعد الانتصار كانت تتمتع بدرجة عالية من النجاح مع أنها كانت مثقلة بالمصاعب والمشاكل، فقد كان على مدى أكثر من ١٥ سنة منفياً عن بلده وبعيداً عن أهله وشعبه لكنه استطاع أن يقود الثورة من المنفى. ومع أن السلطة الملكية والقوى الدولية الاستكبارية وخصوصاً الولايات المتحدة والكيان الصهيوني عملت على الحؤول دون سقوط النظام الملكي، فقد انتصرت الثورة بقيادة الإمام الخميني رحمه الله من دون الاستعانة بالأسلحة والحركات المسلحة ومن دون مساعدة الدول الأجنبية. وبعد الانتصار أيضاً طُوِّقت الحكومة الإسلامية بالمؤامرات التي كادت بعضها أن تهز النظام الثوري ولكن قيادته كانت تتمتع بدرجة عالية من الحكمة والحنكة والتدبُّر.

بالإضافة إلى التسديدات الإلهية كانت هناك أمور أخرى لعبت دوراً في نجاح واستمرار النظام. المحور الرئيسي والجوهر الأساس في إدارة الإمام الحكومة والمجتمع هو الاهتمام

بالأصول والقيم الدينية وتطبيقها. وبعبارة أخرى: فإن الخطوط الحمراء التي وضعها الإمام في الإدارة تمثلت في الحدود والضوابط الشرعية، وهي كانت أساس تعامل الإمام مع أقربائه وأصدقائه وشعبه وصولاً إلى أعدائه ومخالفيه. وهذا المحور جعل المبادئ لا المصالح الضيقة أساس العمل في الدولة والمجتمع. لقد كانت المبادئ وأحكام الدين هي الحاكم والمسيطر على قراراته وأوامره ونواهيه وهذا الأمر هو الذي يميّزه عن سائر الحكام والمسؤولين في العالم، وهذا كان سبباً لاتخاذه قرارات مغايرة لمصالحه ومصالح أقربائه، كما كان يعترف بخطئه أمام الناس ويعتذر منهم. وهذا هو السبب الأساس لعدم استطاعة السلطات التكهن مسبقاً بطبيعة القرارات التي كان يتخذها، لأن ثقافة المصالح ومعاييرها ليست موجودة كأصل في طريقة إدارته لشؤون الأمة.

وتوضيح ذلك أن الإمام رحمه الله كان متديناً ملتزماً دخل في السياسة من منطلق دينه والتزامه بأحكام الشرع المقدس ولأنه استوحى السياسة من الإسلام، كانت سياسته وإدارته ديانته عينها، ولم يكن رجلاً سياسياً اتجه نحو الإسلام واعتقد به بحيث كان تمسكه بالدين مقولة تختلف عن مقولته السياسية، أي أن التزامه بالدين هو التزام منفصل عن تحركه السياسي بل لقد ذاب في الله وفي الإسلام، لذا كان يعشق خلق الله وعباده ويريد تطبيق الأحكام الإلهية كما يملي عليه دينه.

بعبارة أخرى: كان الإمام رحمه الله يفكر ويعمل في فضاء الدين وكان هدفه تطبيق الأحكام الشرعية، ورأى أن هذا التطبيق لا



يتحقق إلا عبر الدولة ولذا كانت السياسة بالنسبة إليه وسيلة شريفة لتحقيق غايته الفاضلة.

ومن أجل ذلك سدّده الله في إدارته ونَصَرَه وانتصر على كل المؤامرات التي قام بها العدو للإطاحة بالنظام والثورة.

أ ـ الإدارة الفاعلة لا المنفعلة:

من خلال البيانات الواردة عن الإمام ﵀ ومواقفه، يتبين أنه ومن خلال مواجهته للقوى الاستكبارية، كان يؤمن بخطة توجيه الضربة الأولى للعدو. فعندما كان العدو يبدأ باستعداداته للهجوم العسكري والاقتصادي، وتتجاوز اعتداءاته مستوى الإعلام والتهديدات الواهية والحرب النفسية، كان الإمام يقول: يجب أن نوجّه الضربة الأولى للعدو، ويجب أن لا تكون ضربتنا له في مقابل ما وجهه لنا من ضربات. وينقل الإمام ﵀ عن الشهيد مدرس، أنه عندما التجأ إليه عدد من القرويين طالبين منه المساعدة للشكوى ضد أحد المسؤولين (خان) وجنوده بسبب ما تعرضوا له من الشتم والضرب، أجابهم الشهيد مدرس: يجب عليكم أن تكونوا أنتم من ضرب ليشتكوا ضدكم، لا أن تذهبوا وتشتكوا بسبب ما تعرضتم له من الأذِيّة والضرب.

وعلى هذا الأساس كان الإمام ﵀ يستغفل العدو، وكان يهدي الشعب إلى مفاهيم وقضايا جديدة يطرحها تجعل من العدو يأخذ موقف الخصم المحارب، مثل عبارات، الإسلام الأميركي والحج الإبراهيمي ويوم المستضعفين، وإسلام الحفاة (المستضعفين)، وساكني القصور مقابل ساكني الأكواخ،



وكذلك عبارة تصف إسرائيل بالغدّة السرطانية وضرورة زوالها، ويوم القدس وأسبوع الوحدة الإسلامية وأيضاً عبارة إذا أراد الاستكبار العالمي أن يعادي ديننا فنحن سوف نقف في وجه دنياه بكل ما نملك من قوة وعزم.

هذه العبارات كانت تشغل العدو بمواقف جانبية أخرى وتجعل من الشعب أكثر وعياً وتبصُّراً.

لم يستطع العدو توقّع أو تكهّن مواقف الإمام المستقبليه ليكون متأهباً ومستعداً لمواجهتها. وبهذا المعنى فقد كانت مواقفه هجومية وليست دفاعية.

ب ـ الإدارة المباشرة لا إدارة الآخرين:

كان الإمام ﵀ دائماً هو الذي يرسم ولا يسمح لأحد أن يتدخّل في شؤونه بل كان يعلن قراراته بنفسه، ولم يكن ينتخب أحداً كناطق رسمي باسمه، ولم يكن يأذن لأحد أن يتكلم عنه، يقول السيّد «قرهي» أحد مسؤولي مكتبه في النجف: بعد هجوم الكيان المغتصب للقدس على الفلسطينيين وما نتج عنه من كوارث ومآسٍ إنسانية فظيعة، قرر الإمام أن يصدر بياناً ضد أميركا والكيان الغاصب يُنشر ويوزّع خلال مراسم الحج، وأوكل إلى الشيخ صادقي أحد العلماء الثوريين ترجمة هذا البيان، لكنه لم يقم بترجمته ترجمة دقيقة، ونتيجة لضيق الوقت نشر هذا البيان وتم توزيعه قبل أن يراه الإمام ﵀، وعندما رأى الإمام هذه الترجمة قال: «إن هذه ليست ترجمة بياني، ويجب

على الشيخ صادقي أن يعلن بأنها ليست ترجمة البيان لكنها أمور كتبها هو ونسبها للإمام».

القيام بهذا العمل كان صعباً ومحرجاً للشيخ صادقي.. لكن الإمام كان مصرّاً على رأيه إلى درجة أن الوساطة من الآخرين لم تؤدِّ إلى أي نتيجة. وقال الإمام: إن لم يستطع الشيخ صادقي التصريح بهذا فسوف أصدر بياناً آخر يكذّب ما قاله. حتى أنهم قالوا للإمام إن محتوى البيانات المترجمة لا تخالف آراءه، قال الإمام: **«أنا شخصياً لا أعتقد بأن أكثر قداسة من آية الله خوانساري، فلو قال آية الله خوانساري بأن الخميني قال «الله واحد»، سوف أكذّب ما قاله، لأنني لم أقل كذلك. نعم إن هذا البيان لا يخالف رأيي، لكنني لم أقله»**. وأخيراً أذعن الشيخ صادقي لطلب الإمام وأعلن عن ذلك. لذلك فلم يكن أحد يجرؤ على الإقدام باسم الإمام دون إذن منه.

يقول أحد موظفي بيت الإمام في النجف: عندما كان الإمام في النجف الأشرف، كان أحد الأشخاص يتولى مهمة تقديم الشاي للضيوف. وهذا الشخص كانت ملابسه مرقعة وغير نظيفة. فطلب مني السيد مصطفى النجل الأكبر للإمام، أن أشتري له دشداشة يرتديها أثناء عمله. فقلت للسيد مصطفى بأن الثوب سيكون جاهزاً خلال أيام. وبالفعل كلّفت أحد الأصدقاء شراء قطعة قماش ومن ثم خياطة دشداشة، وكل ذلك كلّفت ديناراً وربع الدينار. وبما أنني كنت مكلفاً أن أقدم الفواتير كل ثلاثة أو أربعة أيام إلى الإمام، كتبت فاتورة الدشداشة وقدمتها للإمام.

وبعد بضعة أيام عندما كنا عائدين من المسجد، قال لي



الإمام: إنك لا تحتاط في المصاريف، فتفاجأت بالأمر، وأخذت أفكر فيما بدر مني حتى يؤنبني الإمام هكذا، ثم قال: بأن فاتورة الدشداشة كانت عالية، كان عليك أن تعلمني بالأمر، فقلت له بأن السيد مصطفى هو الذي أمر بذلك، فقال الإمام: أنا من يقرر.

لقد كان الإمام يكنّ الاحترام لابنه البكر، والمزايا العالية التي كان السيد مصطفى يتمتع بها، كل هذا أصبح لا شيء أمام المصلحة العامة، تلك المصلحة التي جعلها الإمام فوق كل اعتبار، مهما كانت تلك الاعتبارات.

كما كان ﷺ صادقاً مع الناس في إدارته، ويكنّ لهم الاحترام ويعتبرهم المحور والأساس، كما كان يتقبّل الانتقاد وإذا أدرك بأنه قد أخطأ في قرار من قراراته يسارع إلى تركه ومن ثم يعلن للناس عن ذلك ويعتذر منهم.

ولطالما كان يرجّح مصالح ساكني الأكواخ على ساكني القصور، وكان يعتبر الناس أولياء نعمته وأولياء نعمة المسؤولين، وكان يطبق هذا في إدارته للبلاد.

ج ـ المصداقية مع الناس والاهتمام بهم (الشعب هو السند المفضّل):

تأسيساً على الآية الكريمة: ﴿... حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] نشير إلى أنه إذا كان الله والمؤمنون مع الإنسان

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

فهذا كافٍ، فلا داعي ولا فائدة من الاستعانة بالقوى الأجنبية والقدرات غير المؤمنة بالإسلام من الذين يعملون من أجل الوصول إلى السلطة. إلى ذلك فإن هذه الآية الكريمة ترمز أيضاً إلى أن الشعب هو آية من آيات الله تعالى. وهذه الظاهرة كانت واضحة في حياة الإمام الخميني ﵀. فقد كان يعتمد على الشعب، لدرجة أنه نظر إليه كحجر الرحى لحركته وقيادته بعيداً عن الاعتماد على المنظمات والمجموعات السياسية التي تدّعي بأنه من دون الاعتماد على القوى الخارجية لا يمكن لمواجهة ناجحة أن تتحقق في إيران.

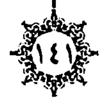
من خصائص وميزات الإمام الخميني ﵀ البارزة: علاقته العميقة والخالصة بالشعب، وهذا ما قد غفل عنه المصلحون القدامى الذين سبقوه. حيث ذكر أحد المفكرين أن السيد جمال الدين الأسد آبادي كانت علاقته بالملوك وأصحاب البلاط، وأمّا تلميذه الشيخ محمد عبده فقد اتّبع العلماء والمفكرين خلال مسيرته الإصلاحية، ولم يدركا أهمية الارتباط مع الأمة وأفراد الشعب الذي يعتبر بنهج الأنبياء والقادة الإلهيين الذين كانوا يولون أهمية عظمى لهذا المنهل العظيم.

ومن خلال تفسيرنا لتعامل الإمام وعلاقته مع الأمة وإحياء الروح الإيمانية في نفوس أفرادها، نستطيع أن نشير إلى أربع ميزات أساسية اتّصف بها هذا الرجل العظيم:

ـ البعد العلمي والمعرفي باحتياجات أفراد الأمة.

ـ الرأفة والرحمة تجاه أفراد الشعب.

ـ التواضع وبساطة العيش.

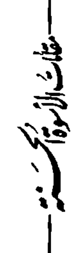




ـ عدم تفرّده بحقوق تميّزه عن الغير.

يروي حجّة الإسلام والمسلمين الحاج السيد أحمد الخميني ﷺ فيقول: بعد ظهر أحد أيام الحرب المفروضة، عندما أصابت ما يقارب سبع أو ثمانٍ من القذائف التي كان يطلقها النظام العراقي نحو إيران المنطقة المحيطة بمنطقة جماران، ذهبت إلى محضر الإمام وقلت له: «إذا أصابت إحدى قذائفنا صدّاماً وقصره، كم سنفرح حينها؟ ماذا لو لحقكم الأذى جرّاء إطلاق الصواريخ الموّجهة نحو منطقة جماران، أو أصابت البيت وأصابتكم»؟... قال الإمام في جوابه: **«أقسم بالله بأنني لا أشعر بأي فرق بيني وبين من يقف على مفرق البيت لحراستنا من أفراد الحرس الثوري، والله لئن قُتِلتُ أنا أو قُتل هو فالأمر عندي سيان»**.

قلت: «نحن نعرف شخصيتك، لكن الأمر يهم الشعب»، فأجاب قائلاً: **«يجب أن يعلم الشعب، بأنّني لو بارحت مكاني وأصابت القذائف الموّجهة نحو بيتي الحرس الذي يقوم بحراسته، حينها لا أكون مناسباً لقيادة هذه الأمة، لأنّني لا أقوى على خدمة الشعب إن لم تكن حياتي مماثلة لحياتهم. فإن أراد الأذى أن يلحق بالشعب أو الحرس أو من يسكن هذه المنطقة، لا بدّ لي أن أكون واحداً من المتضررين، ليدرك الجميع بأننا سواسية نعيش جنباً إلى جنب»**. حينها سألته: «إذن إلى متى تريد أن تبقى هنا؟» فأجاب مشيراً إلى جبهته المباركة: **«حتى تصيب إحدى قذائفهم هذا المكان»**.

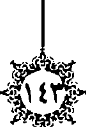


ولأجل ترسيخ هذا الأصل في المرحلة الأولى قام الإمام

بتوعية الناس وسعى إلى أن يبني شعباً واعياً صاحب ضمير حي ومنفتح، وحسب ما يصفه الإمام شعباً (أقوى من القنابل). وفي المرحلة الثانية، فقد جعل هذا الشعب محطاً لأسراره، حيث كان يطرح كافة المواضيع بشكل واضح أمام الشعب ولا يُخفي عليه شيئاً. حتى عند اعتقال الإمام، حاول بعض مسؤولي الحكومة لقاءه لثنيه عن مواقفه، إلاّ أنه كان يواجههم بالقول: **«أريد أن يكون هذا اللقاء على مرأى الجميع، ولا يكون سرياً وخاصاً، لأني أرفض هذا النوع من اللقاءات»**، والملفت أنه وبعد إخلاء سبيله خصّص خطبتين من خطبه وضَّح فيهما ما جرى بينه وبين مسؤولي الحكومة. الأولى في ١٠ نيسان عام ١٩٦٤م، والتي جرت في جمع من طلاب جامعة طهران، كانوا قد أحضروا باقات زهور قدموها إليه. والثانية في ١٥ نيسان عام ١٩٦٤م تحدث في هذا الخطاب بالتفصيل حول الموضوع.

ظاهرة علقت في ذاكرتي

يقول السيد رحيميان: أذكر ظاهرة تتعلق باليوم الأول من حركة الإمام الخميني ﷺ، في ٨ تشرين الأول ١٩٦٢م عندما سمع بخبر المصادقة على لائحة اتحادات المقاطعات والمناطق غير القانونية، وبعد نشر خبرها في الصحف، اجتمعت المراجع الدينية في منزل الشيخ عبد الكريم الحائري، مؤسس الحوزة العلمية في قمّ، بعد الاجتماع المذكور قال الإمام: **«إذا أردنا أن ننقذ الإسلام من الانحلال، فيجب علينا أن نقوّض سلطة العائلة البهلوية، إن الاستعمار الإنكليزي هو الذي أوصل هذه العائلة**



إلى السلطة وجعلها وسيلة للقضاء على الإسلام وجعل أيام إيران سوداء». تعجّب الحاضرون من كلامه، فقال السيد شريعتمداري: «بأي قدرة وبأي قوة أو قنبلة نستطيع أن نتفوّه بهذا الكلام ونروم لهذا الهدف»؟!. قال الإمام: «نحن لدينا قدرة أقوى من القنابل، هي الناس». والناس الذين قصدهم الإمام في كلامه ووصفهم بأنهم أقوى من القنابل، لم يقصد الشعب الذي يتبع القيادة بجهل ولا يعرف أو يدرك حقيقة الأمر والواقع، لأن شعباً كهذا، لا بدّ وأن يتراجع في وقت ما، ولا سيما إن اقتضى الأمر التضحية بالأرواح، فإنْ لم يكن للشعب وعي عميق فلا مناص من أن يتزلزل ويتراجع، ومن هذا المنطلق قدَّم الإمام بعض الاقتراحات ومنها:

أولاً: تبادل الرسائل والبرقيات بين مسؤولي البلاد والعلماء، وبالتالي طبعها ونشرها وجعلها في متداول الشعب. ولم يسبق لمثل هذا الأمر أن حدث من قبل، حتى عندما كتب الميرزا الشيرازي رسالته الشهيرة إلى ناصر الدين شاه. لذلك فقد اقترح الإمام طبع الرسائل والبرقيات ونشرها بين أفراد الشعب ليطّلعوا على وقائع الأحداث وجزئياتها.

ثانياً: تحمّل الخطباء والواعظون مسؤولية توعية الناس من خلال المساجد، وبيان هدف الحكومة من وراء المصادقة على هذا القانون، وما هي الخطط التي تحاك ضد الإسلام؟

ثالثاً: مخاطبة المراجع الدينية الناس والعيش معهم، حيث لم يكن المراجع في السابق يخالطون الناس. وكانت الخطب تقتصر على الواعظين، لذلك رأى الإمام أن على المراجع أن



يكلّموا الناس ويخاطبوهم، فمنذ ذلك الوقت وجدنا أن الطبقة الواعية من الشعب وذات الضمير الحي قد ساندت الإمام وواكبته وانطلقت معه في مسيرته الجهادية.

وعندما أُطلق سراح الإمام الخميني ﷺ في الخامس عشر من نيسان عام ١٩٦٤م، قال يومها صراحة: «**اعلموا أنه لو تراجع الخميني، فإنّ الشعب سوف لن يتراجع لأنه أصبح واعياً**». لم يكن الإمام يهتف بالشعارات من دون الإيمان والعمل بها. وَكان يؤمن بأن الشعب بات يدرك أهدافه ومصالحه العليا وذلك على خلاف ما يعتقده المثقفون والسياسيون الذين يعتبرون الشعب وسيلة يستخدمونها لبلوغ أهدافهم.

بحث الحكومة الإسلامية مع الإمام الخميني

في هذا الصدد يقول الشيخ الأختري: كان الإمام قد بدأ بتدريس بحث الحكومة الإسلامية في النجف الأشرف، وبعد اليوم الثالث أو الرابع جاء عدد من السادة إلى مجلسه وقالوا له: جنابكم تفضلّتم بالقول وذكرتم بأنه يجب تأسيس حكومة إسلامية، فما هو واجبنا الآن؟ هل نذهب لنتعلم فن القتال؟ أو نؤسس مجموعة مسلحة؟ قال الإمام: «**اذهبوا لتوعية الشعب فقط، لأن الإسلام لا يتوقف على الصلاة والطهارة والزكاة والخمس والحج، بل هناك أحكام أخرى تشمل الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والقضائية أيضاً**». وقال: «**اذهبوا وقوموا بتوعية الناس، فعندما يعي جيل الشباب ويتعلم، هم من سيأتي**

لتأسيس الحكومة الإسلامية، وليس من واجبكم أنتم تأسيس مجموعات مسلحة».

ويقول السيد رحيميان: لمّا وصل بحث الحكومة الإسلامية إلى ذروته، سأل أحد السادة: ماذا يجب علينا أن نفعل الآن؟ وكان يعتقد أن الجو الحماسي الذي أوجده الإمام يتوجب عليهم معه حمل السلاح والتوجّه نحو الحدود لإسقاط الشاه، لكن الإمام قال: **«في الوقت الحاضر أنتم أنجبوا الأولاد»**. هنا توجهت الأنظار نحو السيد مصطفى، لأن الإنجاب له معنيان، المعنى المتعارف عليه، والمعنى الآخر هو تهيئة الكوادر الواعية من الناس.

وينقل السيد روحاني: «لم يكن للإمام أي نوع من أنواع التآلف مع التجمعات والأحزاب السياسية، لذلك لم يكن عنده الاستعداد للتعاون معها أو مشاركتها في الهدف المجموعات، إن الإمام لم يقبل أي جماعة أو تكتل سياسي، وعندما جاء المرحوم مشهدي حسين الذي كان يعمل في بيت الإمام وقال له: «جناب سيدنا! إن أعضاء الجبهة الوطنية جاؤوا للقائك»، لم يوافق الإمام حينها على لقائهم، بعدها جاؤوا وتوسّطوا عندي.

عندما يأتون إلى محضر الإمام كأفراد عاديين أو جامعيين كان يستقبلهم، أما عندما أرادوا لقاء الإمام بصفتهم أعضاء الجبهة الوطنية، فقد رفض لقاءهم.

زيارة لا تُنسى

إنّ لقاءات العامة والخاصة بالإمام الخميني ﵀ والإمام الخامنئي مع الناس تندرج في هذا المجال؛ وهذه اللقاءات تشتمل على جميع الشرائح ومنهم الأقليات الدينية. ومن المناسب أن نروي زيارة الإمام الخامنئي إحدى العائلات المسيحية في إيران حسب ما يرويه مرافقه حول تفقد السيّد أحد الشهداء الأرمنيين بمناسبة حلول رأس السنة الميلادية الجديدة:

في صباح أول يوم من السنة الميلادية الجديدة، أي عيد الفصح، طلب الإمام الخامنئي زيارة عدد من عوائل الشهداء الأرمنيين والآشوريين، ذهبنا إلى محلة مجيدية الشمالية واستطعنا أن نحظى بعائلة مسيحية كانت تقطن هذه المنطقة، بعد تنسيق موعد الزيارة ذهبنا وطرقنا باب بيت هذه العائلة، ففتحت الباب امرأة، قلنا لها: عفواً! إن السيّد الخامنئي في طريقه إليكم، ما أن سمعت هذه السيّدة اسمه حتى أُغمي عليها وسقطت على الأرض، فلم نكن نعلم ماذا نفعل؛ فأثرنا بعض الأصوات مستنجدين، حتى نزلت شابتان من سلّم البيت وكانتا تصرخان بدهشة: ما الذي يحصل؟ فقلنا لهما: ما إن أخبرنا أمكما بقدوم الإمام الخامنئي، حتى أغمي عليها، فنرجو منكما أن تفعلا شيئاً.

كانت الشابتان تحاولان علاج الوضع واسترجاع الوعي لأمهما، وفي تلك الأثناء جاءنا خبر عبر اللاسلكي بأن الإمام قد وصل. ذهبت مسرعاً لأفتح باب البيت، كان الإمام ينزل من السيارة، فعندما وصل قرب باب البيت نظر إلى الداخل وقال:

سلام عليكم. قلت له: تفضل. قال لي: من يكون جانبكم؟ قلت له: إن صاحبة البيت أغمي عليها. قال: هل من أحد غيرها في البيت؟ تذكّرت حينها أن إحدى هاتين البنتين تستطيعان أن تأتيا وتقوما بالواجب، حينها قلت له: تفضل وادخل حتى يأتوا. فقال: أنا لا أدخل المنزل من دون الاستئذان من صاحبه. فذهبت إلى المطبخ وقلت لإحداهن أن تأتي وترحب به.

رجعت إلى الإمام وقلت له: إن أهل البيت ذهبوا لارتداء ملابس مناسبة، فأرجو من حضرتكم أن تدخلوا حتى يصلوا. رفض وقال: أقف هنا حتى يأتوا، فوقف عدة دقائق حتى جاءت إحدى البنتين مسرعة ودعته ليدخل إلى البيت، فعندما دخل أسرعت البنت إليه ورحّبت به وقالت: إن أمنا في الغرفة وسوف تأتي حالاً، عندما خرجت البنت من الغرفة ناداني الإمام وقال: أين والدهم؟ قلت له: لا أعلم. فقال: هل كبير العائلة موجود؟ هل أخوهم الكبير هنا؟ فذهبت إلى الغرفة المجاورة وسألتهم: أين أبوكم؟ فقالوا: متوفٌ. فقلت: لهم أين أخوكم؟ فقالوا: كان لنا أخ واحد واستشهد. فسألتهم إن كان كبير العائلة موجوداً، فقالوا: إنّ عمّنا يسكن في البيت المجاور. فصمّمنا أن نذهب ونخبر العم بمجيء الإمام، فدعوناه للقائه، بعد أن شرحنا له الموقف، فعندما جاء تعجّب من الحضور وبعد الترحيب جلس على كرسي إلى جانبه، إذن استطعنا أن نأتي بمن يتكلم مع الإمام.

بعد أن أفاقت الأم دخلت الغرفة ورحّبت بالإمام، فطلب منها أن تجلس إلى جانب العم. ثم قال لها: أيتها الأم الكريمة!

نحن جئنا لنستمع إلى كلامك، وبسبب تعرّضك إلى عارض صحي دعا الأصدقاء عمَّ الأولاد.

جاءت البنتان وجلستا، وأول سؤال طرحه الإمام كان حول شغل الفتاتين. فقالتا بأنهما تدرسان في الجامعة فأثنى عليهما وشجعهما. وبينما كان الكلام يدور حول أمور عامة سألتني إحداهما عما يريد الإمام أن يشرب قائلة: هل يشرب القائد ماء أم عصيراً؟ هل أجلب شيئاً للضيافة ونحن مسيحيون؟ حينها ذهبت إلى الإمام وقلت له: إنهم يسألون ماذا تحب أن يضيّفوك؟ هل يجلبون الشاي؟ أم شيئاً آخر؟ فأجاب قائلاً: نحن ضيوفهم، هل يسألون الضيف ماذا يجلبون له؟ إذا ضيّفونا شيئاً سنأكله. بعد ذلك قال الإمام: نعم يا ابنتي! إذا كنت تريدين أن تجلبي الشاي أو العصير، فأنا سأشرب ما تجلبينه.

فذهبوا وجلبوا العصير والشاي وبعض الحلويات والفواكه. جلس السيّد أربعين دقيقة تقريباً في بيتهم وتكلم معهم.

قالت الأم: اليوم عرفت من هو عليّ عليه السلام. وقالت: يا سيد، هل أستطيع أن أقول جملة وأنت في بيتنا؟ فقال لها السيّد: تفضلي أنا جئت اليوم لأسمعك. فقالت:

إن ديننا غير دينكم وعاداتنا وتقاليدنا تختلف عنكم، نحن نشترك في مجالس عزائكم، لكننا في أغلب الأوقات لا ندخل بل نقف خارجاً، نشارك في برامج العزاء التي تقيمها المواكب الحسينية ونوزّع شراباً بين الناس، نوّزعه في كؤوس بلاستيكية لكي لا تواجهوا صعوبة في شربه. نستمع إلى كلامكم، لكنني لم أكن أفهم بعض الأمور.



كانوا يقولون إن في دينكم امرأة هي بنت نبيكم الكريم ﷺ، حُبِسَت بين الحائط والباب حتى خرق المسمار صدرها، لم أكن أفهم معنى هذا الكلام. كانوا يقولون إن المسلمين لهم قائد يسمى علياً عليه السلام، أوثقوا يده وغصبوا حقه في الخلافة لمدة ٢٥ سنة، مدة ثلاث دورات خلافية متعاقبة، ولم أكن أفهم معنى هذا الكلام. قالوا: عندما غُصِب حق علي عليه السلام في الخلافة كان يطرق أبواب الأيتام ليلاً ليطعمهم من الخبز والتمر الذي كان يحمله على ظهره، ولم أكن أفهم هذا. لكن اليوم قد فهمت وعرفت من هو علي عليه السلام.

اليوم وعلى الرغم من مسؤولياتك وانشغالك، جئت إلينا وزرتنا، زرت عائلة ليست من دينك، حتى راهب المنطقة وأسقفها لم يقم بزيارتنا. فأنت قائد المسلمين، فبقدومك عرفتُ معنى وعظمة زيارة علي عليه السلام لبيوت اليتامى.

د ـ الوسيلة الفضلى للغاية الفاضلة:

على خلاف ما يعتقده الشيوعيون الميكيافيلليون «الغاية تبرر الوسيلة»؛ أي يمكن الاستعانة بشتى الوسائل وإن كانت غير شرعية من أجل التوصّل إلى الأهداف المقدّسة وتحقيقها. إنّ الإسلام لا يقبل مثل هذا الاعتقاد ويقول: ﴿...وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1]. والإمام الخميني رحمه الله وعلى هذا الأساس الإسلامي كان يستخدم الوسيلة المقدسة من أجل الوصول إلى

(١) سورة الكهف، الآية: ٥١.



الهدف المقدس، فلم يكن يتوسّل المكر والخداع في إدارته، لذلك رفض في بداية انتصار الثورة الإسلامية في إيران أن يتحالف مع الشيوعيين، وكان يقول إن هؤلاء يُشهرون السيف من ورائنا.

كان الإمام ﷺ دقيقاً جداً، كان لا يرضى بالأخطاء الواردة على طباعة المنشورات التي كانت توزع آنذاك، ولو كان الخطأ عبارة أو كلمة أو نقطة حتى، وكان يطلب منا تصحيح النسخ أو إعادة طباعتها، وإن تجاوزت النسخ المطبوعة الآلاف، أتذكر في ليلة السادس من شهر بهمن (من أشهر السنة الهجرية الشمسية)، وقبل موعد الاستفتاء العام، كان الشاه موجوداً في إيران، وكان الإمام قد وجه نداءً، طبعت منه ٦٠ ألف نسخة، وُزِّعت بين الأصدقاء لتوزيعها في اليوم التالي، فكانت هناك كلمة باللغة العربية قد طبعت بصورة غير صحيحة، حينها طلب الإمام تصحيح هذه الكلمة أو الامتناع عن توزيع النداء، فذهبت أنا وبعض الرفاق إلى مدرسة السيد مجتهدي، وقام كل واحد منا بتصحيح ما يناهز العشرة آلاف نسخة. كانت هذه البيانات تطبع في المطابع التي استطاع المرحوم السيد محمد تقي خاموشي ورفاقه أن يعثروا عليها في أطراف طهران في أقبية المباني البعيدة عن أنظار السافاك. وكان المرحوم السيد صادق أماني من القيّمين على طباعة المنشورات آنذاك.

يقول السيد الروحاني: إذا ما دققنا في الفترة الزمنية التي سبقت ثورة الإمام الخميني، فسنجد أن جماعات من الأحزاب والمنظمات السياسية، وحتى من كبار رجال الدين الذين لهم

دورٌ بارزٌ في مجال الجهاد، كانوا يؤمنون بأن محاربة العدو ومواجهته منوطة باتحاد وتضامن جميع الأحزاب والفئات على اختلاف معتقداتها وتوجهاتها، أما الإمام الخميني ﵀ فعندما بدأ جهاده رافعاً راية المواجهة ضد النظام الحاكم، وضع حدوداً وموازين خاصة لحركته ومسيرته الجهادية. فمنذ عام ١٩٦٢م حيث كانت الشرارة الأولى للثورة الإسلامية، رفض الإمام التعامل مع الأحزاب والفئات غير الإسلامية كالماركسية والشيوعية والوطنية والعلمانية والقومية. فمنذ بداية الطريق بيّن الإمام مبادئ مسيرته الجهادية ذات التوجه الإسلامي، حيث جعل الإسلام أساساً وشرطاً لتعاونه مع بقية الفئات والجهات الأخرى، ولهذا السبب لم تدعم هذه الجماعات الإمام ولم تؤيده.

في عام ١٩٦٣م وبعد كارثة مدرسة الفيضية، حضر مسؤولو حزب (نهضة الحرية) إلى قمّ للقاء الإمام، في بداية الأمر توسّطوا لدى السيد هادي خسروشاهي، فجاء الأخير لمحضر الإمام وعرض عليه طلبهم، يومها قال الإمام: لا أستطيع لقاءهم، فقال له السيد خسروشاهي: ماذا أقول لهم؟ فقرأ الإمام هذه الآية الكريمة: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾، فذهب السيد خسروشاهي وقال لهم بأن الإمام مريض، فأجاب المهندس سحابي، فلنذهب لعيادته، فقال له السيد خسروشاهي: أنت تعرف أنني لا أستطيع أن آتي معك. وفيما بعد توسطوا لدى آية الله العلامة الطباطبائي، لكن الإمام رفض هذه الزيارة مرة أخرى.

للإمام الخميني أسلوبه الخاص في المواجهة

إن طريقة الإمام في الجهاد والمواجهة مهمة جداً، لأن سر نجاح الإنسان المؤمن في مواجهته للعدو والوصول إلى أهدافه، يكمن في عدم إفساح المجال أمام جهات أخرى ذات توجهات غير واضحة وغير إسلامية.

واليوم قد تجلّت أمامنا ميزات وخصائص نهج الإمام الخميني ﷺ أكثر من الماضي، فما حدث في مصر وبقية الدول العربية الأخرى، يتمثّل في أنّ الكثير من الملحدين والمشركين والماركسيين والعلمانيين كان لهم دور في هذه الانتفاضات، لذلك لم يتوفر فيها عنصر الإخلاص المهم في المواجهات الإسلامية.

منذ أن بدأ الإمام حركته النهضوية الثورية وحتى آخر يوم في حياته، لم يكن مستعداً قط للتعاون مع الجماعات التي تنتهج غير الإسلام وولاية الفقيه، ولم يكن مستعداً للتقرّب منها أو مشاركتها الهدف.

ما يخطر ببالي في هذا المجال هو ما تناهى إلى سمعي من أنّ أحد الأصدقاء قال: نحن نشترك مع الشيوعيين بالهدف، لكن الإمام قال: «**من الممكن أن يكون لدينا هدف مشترك مع الشاه لإسقاط الشيوعية، لكننا لا نشترك مع الشيوعية بهدف...**».

الخاطرة الثانية ينقلها السيد دعائي فيقول: عندما ذهبت إلى الإمام الخميني وتكلمت معه حول تيمور بختيار الذي كان مصرّاً على التعاون مع المقرّبين من الإمام ومع الإمام نفسه، قال: «إذا

أراد بختيار أن يصل إلى السلطة في إيران، فسأشد على يد الشاه».

إذن لم يكن الإمام يتعاون مع كل من يواجه الشاه ويحاربه.

طبّق الإمام خلال مسيرته الجهادية هذه الآية الكريمة: ﴿... وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1]، ولم يكن مستعداً للتعاون مع أي فرد أو تيار أو جماعة خارجة عن نهج الإسلام وتعاليمه. فبالإضافة إلى موضوع بختيار والشيوعيين أشير إلى نموذج أوضح في هذا المجال. خلال إقامة الإمام في النجف الأشرف، وبالتحديد في عهد حكومة أحمد حسن البكر والفترة التي تلته، كان هناك اختلاف بين العراق والشاه حول قضية (أروندرود) حيث جاء المسؤولون العراقيون إلى محضر الإمام الخميني ﷺ، وكما تعرفون أن كل اللقاءات كانت علنية، يستطيع الجميع الاطلاع عليها، حيث كان الناس يأتون للقاء الإمام في كل ليلة مدة نصف ساعة، وطلب المسؤولون العراقيون منه تأييد الحكومة العراقية في القضية المذكورة، لكنه لم يبدِ لهم أي موافقة، حيث كانوا يخرجون في كل مرّة غاضبين.

في اثناء اعتقالي، مررت بمراحل صعبة جداً، ولكن بعد إطلاق سراحي قالوا: أنت حر لقد حصل خطأ في الموضوع، وقالوا أيضاً: (أبلغ السيد أي الإمام وقل له: نحن مستعدون لأي نوع من أنواع التعاون في مجال مواجهة النظام الإيراني

(١) سورة الكهف، الآية: ٥١.

والشاه، ومستعدون لتزويدكم بأي نوع من أنواع الإمكانات والأسلحة)، حيث أبدوا تعاونهم المطلق ومن دون حدود. لكن الإمام لم يكن يبدي لهم أي رضىً حول هذا الموضوع.

أتذكر بعض السادة آنذاك حين أصدروا بياناً ضد الشاه مؤيّدين فيه نظام صدام. لكن الإمام لم يكن ليرضى بالفعل بهذا الوضع، أما هؤلاء أنفسهم الذين أصدروا البيان ضد الشاه، فلم يلبثوا أنْ غيّروا موقفهم بشكل جذريّ تبعاً لتغيّر الظروف والأوضاع.

في بداية انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان الإمام مستقرّاً في مدرسة (رفاه)، وقد أصدر أعضاء منظمة فدائيان خلق بياناً يعلنون فيه أنهم سوف يخرجون بمسيرة في اليوم التالي، وبعدها سوف يتوجهون إلى مقر الإمام، عندما سمع الإمام بهذا الخبر، أمر أعضاء مكتبه بإخبارهم أنه يرفض لقاءهم.

لقد أصدر الإمام في شهر مرداد عام ١٩٧٧م بياناً ورد في كتاب صحيفة الإمام، المجلد الثالث، ص٢٠٣. وفيه: «**إن الأعداء يخطّطون من أجل الإيقاع بالإسلام بشتّى الطرق، بعض الأحيان يسلّطون عملاءهم الخبثاء على الدول الإسلامية، وأحياناً أخرى يلجأون إلى إيجاد بعض المذاهب الباطلة وترويجها كالبهائية والوهابية... إلخ، أو عن طريق بعض الأحزاب المنحرفة المستلهمة أفكارها من مدرسة ماركس الواهية التي سرعان ما تبيّن ضعفها وهزيمتها للجميع. إن الأجانب والعملاء الذين يعملون في إيران يقلّدون ماركس مع مخالفتهم مدرسته. إني أعلن اليوم بصراحة ووضوح بأنني أسأم**

وأكره هذه الجماعت الخائنة، سواء الماركسية أو الشيوعية أو المنحرفين عن المذهب الشيعي ومدرسة أهل البيت ﷺ، وتحت أي عنوان أو اسم، فهؤلاء هم خونة البلاد والإسلام والمذهب».

يسأل مراسل «لو موند» الإمام ﵀ خلال المقابلة التي أجراها عام ١٩٧٧م عمّا إذا كان مستعداً للتحالف مع الشيوعيين لإسقاط الشاه؟ أجاب الإمام بشدة قائلاً: «**أنا قلت لأتباعي ومؤيديّ في إيران بأن لا يتعاونوا مع الماركسيين**». فبهذا الجواب ردّ التعاون مع الاشتراكيين والماركسيين والوطنيين وكل من يطلق على نفسه هذه العناوين المستوردة، وبيَّن عدم الاعتراف بهم رسمياً.

هـ ـ تربية وتوجيه العاملين ورفع معنوياتهم:

إن كلا الإمامين لم يكونا يديران البلاد من أجل تحقيق الأهداف فقط، بل كان برنامج تربية المدراء والعاملين تحت إمرتهما ضمن الأصول والأهداف الأساسية في برنامجهما الإداري. لقد قدم البحث الخارج للإمام الخميني زخماً عالياً من المسائل الفقهية للمدرسة الشيعية، وذلك لتركيزه على تربية وتنمية قدرات رجال الدين المشاركين في درسه وفسح مجالاً واسعاً للاستفسارات وطرح الأسئلة.

يقول آية الله خزعلي: عندما أُطلق سراح الإمام حدَّثته حول تعيين مدرّسين للحوزة العلمية، وقلت له: إن كنتم تريدون إضافة اسم جديد إلى هذه الأسماء المذكورة لنا أن نبيّن مخالفتنا لمن

لا نرغب فيه بصراحة، قال الإمام ﵀: أنا أيضاً أرغب فيما تقول، يجب علينا أن نعلن رأينا بصراحة.

من خصائص الإمام الصراحة في القول، وكان يوصينا ويحثّنا على ممارستها. كان يقول في مجال البحث العلمي: لا تقبلوا المواضيع المطروحة كما هي، بل يجب عليكم أن تقبلوها وتؤمنوا بها من خلال التحليل والتفكّر. وكان الإمام يتميّز بهذه الصفة في الأمور السياسية أيضاً. ويقول السيّد الروحاني «المؤرخ الثوري/ المعروف»: كان الإمام يذهب بمفرده لأداء الزيارات الخاصة ولم يكن يذهب مع أحد من مرافقيه، لأنه كان يكره الخروج مع الحاشية والأصحاب. أتذكر مرة كنا نذهب إلى المرقد المطهر وفي وسط الطريق صادفنا الإمام داخل زقاق، ولأننا كنا نحب مرافقته كنا نمشي خلفه نحو الحرم، ولما انتبه الإمام لوجودنا وقف وقال: «هل للسادة حاجة ما؟» قلنا: كلا.. لا نريد شيئاً فقط نحب أن نرافقكم لأننا نحب أن نكون معكم في الطريق إلى الحرم، فقال: «**شكر الله سعيكم. أنا أشكركم لهذا، أنتم طلاب علوم دينية محترمون، ولا أرغب أن يقلّ شأنكم وأنتم تمشون خلفي**».

يقول كيومرث صابري: عندما تمّ انتخاب السيد رجائي رئيساً للجمهورية، بعث السيد فرانسوا ميتران رئيس جمهورية فرنسا رسالة تهنئة إلى رئاسة الجمهورية، يبارك فيها للسيد رجائي بمنصبه الجديد، كان السيد رجائي دائماً يقول لي: أنت كنت في المدرسة معلم إنشاء وأنا كنت معلم رياضيات، لذلك يجب إرجاع الأمور والقضايا المنطقية إليّ، أما القضايا التي

تتعلق بالشعور والإحساس فيجب إرجاعها إليك. حيث كنت قد كتبت الكثير من الرسائل في هذا المجال، لذلك طلب مني السيد رجائي أن أكتب جواباً لرسالة فرانسوا ميتران. كتبت في الرسالة ما يلي: نعم أنت قد باركت لي المنصب الجديد، لكنك من جهة أخرى حوّلت باريس إلى مركز ثقل لعناصر ضد الثورة الإسلامية (عندما كان المنافقون هناك)، وأنا لا أعلم المترجم هل فهم القصد من الكتابة أم لا؟ لأنه ترجم الثقل بمعنى جهنم، وذكر في الترجمة ما يلي: نحن سنحوّل باريس إلى جهنم لعناصر ضد الثورة الإسلامية، وكان معنى الترجمة يوحي بنوع من التهديد والتدخل في شؤون البلد. على كل حال وإن لم تكن الترجمة توحي إلى هذا المعنى، فقد كانت الرسالة التي كتبتها بعيدة عن الدبلوماسية والعرف السياسي. استتبع هذه الرسالة بعض المناورات التي كانت تركز على كلمة مركز الثقل، والتي تمّت ترجمتها بكلمة جهنم. لم تكن النتائج المترتبة عليها لصالحنا، لأنّ الجواب كان بعيداً عن العرف الدبلوماسي، ونحن بالإضافة إلى ترديدنا لشعار «الموت لأمريكا»، كنا نردد شعار «الموت لفرنسا» عند لجوء مسعود رجوي إليها.

كنت في مكتبي حين جاء السيد رجائي يوماً إليَّ ووضع يده على كتفي ضاغطاً عليه، قلت في نفسي: يا ويلتي، قد حان وقت الشجار والعراك، حينما نظرت إلى وجهه رأيته مصفرّاً، فسألته عن السبب، فقال لي: ألا تعلم ماذا فعلت؟! ففي حياتي لم أكن محرجاً كما كنت عند الإمام، فقلت له: لماذا؟ ماذا قال لك الإمام؟ ما الخطأ الذي اقترفناه؟ فقلوبنا كلها مع الإمام



والثورة. فقال السيد رجائي: الموضوع يتعلق بجواب رسالة التبريك. قلت: لماذا لم تقل للإمام بأنه حصل خطأ في ترجمة كلمة (مركز الثقل)، فقال لي: لم تكن المشكلة منحصرة بهذه الكلمة، كما كنت أظن، فإن الإمام قال لي: «**أنت بصفتك إنساناً مسلماً كان يجب عليك أن تشكر من بارك لك على منصبك الجديد، فلماذا صفعت رئيس جمهورية بلد بهذه الكلمات؟ يجب علينا أن نتحلّى بالأدب**». وقال السيد رجائي أيضاً: كلما أفكر بما قاله الإمام لي، أجد أن ما قاله كان صواباً، فقلت له: لا لم يكن كلامه صحيحاً، كيف يكون صحيحاً وهو يقول: الموت لأميركا، والشعب يردد بعده هذا الشعار، وهو من يقول: الموت لفرنسا. فما المانع مما كتبناه؟ يجب عليك أن تذهب إلى الإمام.

ذهب السيد رجائي إلى الإمام ﷺ، وعندما رجع كان مسروراً، سألته: ماذا حدث؟ فقال: نحن كلنا فداء للإمام، بل يجب علينا أن نوزن أعمالنا بأعماله، فأنا ذهبت إليه وقلت له: يا سيدي إنّ مستشارنا المشاغب يقول كذا وكذا، فقال لي: «**إن مستشارك المشاغب يقول الحق، لكن ما فعله كان خطأً، فأنا رجل دين جالس هنا لأتكلم، يجب عليّ أن أوجه خطابي لجميع مسلمي العالم الإسلامي، لكنك رئيس جمهورية، ورئيس الجمهورية يجب عليه أن يتمسّك بالعرف السياسي ويعمل به. حسب العرف السياسي يجب عليك أن تجيب بدون أي إهانة، لذلك كان عليك أن تشكر كل من بارك لك، سواء كان صديقاً أم غير ذلك، هذا كل شيء**». حينها راجعت نفسي ورأيت أنني

لا أملك براعة المعرفة والاضطلاع بالعرف الدبلوماسي كما يملكه من عاش في قمّ ولازم البيت والدرس، ومن ثم المنفى، وكان يتردّد على مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف ويدعو الله ويستعين به.

وكانت هذه من ميزات الإمام الخامنئي أيضاً، حيث ينقل السيّد تقوي أحد أعضاء مكتبه، بأن السيّد كان يؤكد على وجوب احتواء التقارير والبيانات المرسلة على آراء ونظريات مَن كتبها.

و ـ عدم حصر طرق اكتسابه للمعلومات في طريق واحد

كيومرث صابري: ذات يوم ذهبت مع السيد رجائي وآخرين للقاء الإمام الخميني رحمه الله، لم يكن عددنا يتجاوز الثلاثة أشخاص تقريباً، عندما خرجنا وجدنا أحد المحافظين جالساً في غرفة الانتظار ينتظر دوره للقاء الإمام، بعد السلام والتحية تركنا المكان، في الطريق سألت السيد رجائي: ماذا كان يعمل محافظنا عند الإمام؟ فأجابني: ربما كان يريد أن يعرض تقريره حول أوضاع المنطقة الحربية في مدينة إيلام، لأنه على حسب ظني محافظ لهذه المنطقة. قلت: لم تكن القضية واضحة لي.

في تلك الأيام كان السيد رجائي رئيساً للوزراء وكنت مستشاره، لذلك قلت له: أنت رئيس الوزراء، لماذا يأتي محافظ عند الإمام قاطعاً كل هذه المسافة ليقدّم تقريره؟ قال لي: أنت محق ماذا عليّ أن أفعل، قلت له: اذهب سريعاً إلى



محضر الإمام وقل له: يا سيدنا إن كنت لا تثق بي أرجو إبلاغي بذلك، وإن كنت ترغب في الاطلاع على التقرير، فأنا أستلمه منه لأقدمه إليك.

عندما ذهب السيد رجائي إلى الإمام ﵀، رجع مسروراً فرحاً، وقال: ذهبت إلى محضر الإمام لأقدم له التقارير قلت له: يا سيدي إن أحد المحافظين جاء إليكم في ذالك اليوم، وعندما رآه مستشاري أبلغني بكذا وكذا، قال الإمام ﵀: إن مستشارك محق، إن المحافظ يجب أن لا يسلم التقارير إليّ، بل يجب عليه أن يعمل بما تفضّلت به، وأنا أثق بك، لكن يا سيد رجائي، لا تقطع ارتباطي مع الناس، يجب أن يكون ارتباطي مع الناس مستمراً، ليس فقط مع المحافظ، بل مع الأقل منه رتبة. أما في الأمور التي تخصّ الحكومة، فلئن وصلني تقرير سلبي في هذا المجال، فستكون أنت أول من أوجّه إليه السؤال.

أحد أعضاء مكتب الإمام (الشيخ توسلي) يقول: إن أحد أسباب تطور المقاصد والأهداف العالية للإمام الخميني ﵀ طوال انتصار الثورة الإسلامية هو أنه لم يقل للشخص الذي يخبره أمراً «أنا كنت أعلم بهذا الخبر»، مع أنه في أكثر الأحيان كان على علم بالأمور التي يخبرونه بها، حيث كان ﵀ يُظهر ويبين عدم اطلاعه على الخبر المنقول له، فأنا مثلاً لو نقلت خبراً للإمام وقال لي كنت أعلمه سابقاً وتكرر هذا الوضع معي مرات أخرى لما عدت لإخباره بأي أمر.. وفي هذه الحالة، وربما يفوته خبر لا يعلمه هو، لذلك كان الإمام ﵀ يفسح

المجال للجميع، للتواصل معه وإخباره بالأوضاع ولو كان يعلمها.

يقول السيد ناصري: لم يكن الإمام الخميني ﵀ يكتفي بمصدر أو مصدرين . بل كان في أغلب الأوقات يسأل أفراداً موثوقين يدقّق في الأخبار ويتابعها ليطّلع عليها. وبعد انتصار الثورة الإسلامية كان يتحرّى الأخبار عن طريق المسؤولين.

ز ـ الصمود على الموازين المحقة وعدم التأثر بالآخرين

لم يستطع أحد سواء كان من أفراد العائلة أو خارجها التأثير على فكر الإمام الخميني ﵀ وقراراته، صحيح أنه كان حنوناً ورؤوفاً تجاه أفراد الأسرة، وكان يغضّ النظر ويتنازل أحياناً عن بعض القرارات التي تتعلق بالقضايا الأسرية أو اليومية، أما تجاه الأمور والقضايا السياسية المصيرية فكان حاسماً وقاطعاً لا يتأثّر بأفكار الآخرين.

السيد الروحاني يقول: أود أن أشير إلى نقطتين، الأولى حول البيانات والنداءات: عندما كان الإمام ﵀ يصرح ببيان من النجف الأشرف، كان يرسله ليطلع عليه الآخرون، ليبدوا رأيهم فيه، أحياناً كانوا يوافقون على ما كتب في البيان وأحياناً أخرى كانوا لا يوافقون عليه، وكانت أغلب الآراء توجه نحو عبارات البيان، ونادراً ما وُجّهت اقتراحات لتغيير مضمونه. كان السيد دعائي يأخذ بعض البيانات إلى بغداد ليطلع عليها منظمة مجاهدي خلق، عند السيد تراب حق شناس وبقية أعضاء

المنظمة، الملفت في القضية هو أنهم لم يستطيعوا أن يدرجوا ولو كلمة واحدة في تصريحات وبيانات الإمام.

النقطة الأخرى هي: أن الإمام كان قد أصدر بياناً ضد الالتحاق بحزب تودة، وقال فيه: «**وأنا في دار الغربة أتألم بسبب أوضاع الشعب الإيراني المؤسفة، وكم كان جيداً لو كنت خلال هذه الظروف الحساسة معهم وإلى جانبهم**»، وقد قمت باستبدال جملة (وكم كان جيداً) بجملة (كم كنت أود)، لكن الإمام شطب عبارة (كم كنت أود)، وأعطينا الخطاب إلى السيد دعائي، فكتب الأخير عبارة (كم كنت أود) مرة ثانية، إن كلاً من السيد فردوسي والسيد إملائي وبقية الأخوة أيضاً كتبوا عبارة (كم كنت أود) بدلاً من عبارة (كم كان جيداً)، لكن الإمام شطب هذه العبارة وأعاد كتابة عبارته مرة أخرى، ونحن إلى حد الآن لم ندرك سرّ تمسك الإمام بعبارة (كم كان جيداً).

إن الإمام عندما كانت المصلحة لا تقتضي استبدال عبارة (كم كان جيداً) بعبارة (كم كنت أود)، لم تؤثر عليه آراء الآخرين، صحيح أنّه كان يرسل البيانات الصادرة من قبله إلى الأخوة لإبداء آرائهم، وكانت آراؤهم لا تتعدى تغيير العبارات اللفظية، لكنه في الوقت نفسه كان يراعي المصلحة العليا، ولا يتقبل أي تغيير إنْ خالفَ المصلحة.

إن السيد لواساني كان من الأصدقاء القدامى والمقرّبين من الإمام، فبعد حادثة المدرسة الفيضية جاء مع عدد من الأصدقاء إلى بيت الإمام، وكان وحده في البيت، لأن زوجته وابنه السيد مصطفى كانا قد ذهبا إلى زيارة العتبات المقدسة في كربلاء.

فعندما زاروا الإمام في البيت قالوا له: منذ الآن لا ندعك تتدخل بالأمور السياسية في البلاد، لأن تصريحاتك وخطبك تعرّضك إلى المخاطر، وسوف نبقى هنا لنمنعك، لم يقل الإمام شيئاً، بقي الأصدقاء عند الإمام، وبعد تناول طعام الغداء معه ذهبوا إلى النوم، وبينما هم نائمون كتب الإمام البيان والنداء المعروف «**إن الولاء إلى الشاه بمثابة الإغارة والنهب، وهو بمثابة القتل...**»، وأعطاه إلى الشيخ فضل الله محلاتي وقال له: اذهب واطبع هذا البيان، ومن ثم ذهب إلى النوم. وبعد أن استيقظ الأصدقاء وشربوا الشاي باتوا تلك الليلة عند الإمام، لكنهم في صباح اليوم التالي تفاجأوا بوجود عدد من البيانات المطبوعة، عندها سألوا الإمام: متى كتبها؟ فقال: عندما كنتم نائمين، (فضحك الجميع).

يقول السيد رحيميان: بقي الأخ الأكبر للإمام الخميني آية الله بسنديده إلى آخر لحظات حياته واضعاً صورة (مصدق) على رف غرفته، وعلى الرغم من الإلفة بينه وبين الإمام الخميني، لأنه كان أستاذه وبمثابة والده، لم يؤثر موقفه هذا بالإمام الخميني.

طبعاً كان الإمام يأخذ بما يقوله الآخرون في الأمور المتعلقة بالمسائل الشرعية، فإذا قال الحاج عيسى مثلاً: هذا الإناء نجس، كان يأخذ بكلامه، أو عندما يريد أن يصدر إجازة التصرف بالأموال كان يعتمد على تأييد شخصين لمن يريد أن يصدر الإجازة لصالحه، وكان يأخذ بكلامهما ويعمل به، أما في المواضع الحساسة المهمة التي يشخّص فيها واجبه الشرعي،

فلم يكن يتأثر بالعاطفة أو بتوصيات الآخرين، بل كان يعمل بما يمليه عليه واجبه. فإن كانت قرارات الإمام البتَّ في بعض الأمور واتخاذ بعض المواقف التي تخالف آراء وتوقعات الآخرين، كان الزمن كفيلاً ببيان صوابية مواقفه وصحتها للآخرين. ونادراً ما كان يصرّح بعدم موافقته على ما تمّ البتُّ فيه سابقاً، مثلاً عندما تمّ انتخاب السيد بازركان رئيساً للوزراء للحكومة المؤقتة آنذاك، وافق الإمام على هذا الرأي، وعندما تمّ انتخاب آية الله منتظري كقائم مقام له، التزم الإمام الصمت تجاه هذا الرأي، وعندما كتب الإمام رسالة لعزل آية الله منتظري عام ١٩٨٩م قال فيها: **«أقسم بالله أنني لم أكن موافقاً على انتخابك... وأقسم بالله أنني كنت مخالفاً لانتخاب السيد بازركان كرئيس للوزراء، بل وافقت رأي الآخرين فقط».**

... وهكذا نرى يوماً بعد يوم، ومرحلةً إثر مرحلة، صوابية مواقف كلٍّ من الإمامين الكريمين وسداد رأيهما في أمور الدين والدنيا.

الفهرس

